

SAR

جذور العنف في المجتمعات السورية

سوق الكتاب وكساد الثقافة

حماية المدنيين وقضية التهجير

القسري في القانون الدولي

2019 8

تصوير: بيروز بريك



موقع المجتمع المدني في عملية التنمية المستدامة

معطلة إذا ما أرادوا أن يكونوا جزءاً من جهود أممية ساعية لإنجاز تنمية مستدامة، وذلك بالنظر إلى كون المسألة السورية تنطبق عليها كل أوجه التحديات التي صيغت الأهداف الألفية الذكر وفقاً لاشتراطاتها وظروفها، فالاستقرار السياسي إن لم ينجز في سوريا ستبقى المسألة السورية جزءاً من معضلة عدم الاستقرار التي تؤرق أناساً آخرين على ظهر هذا الكوكب، ممن يشغلهم الوضع الإنساني في سوريا، أو غيرها من بؤر التوتر والفقر والجوع في العالم، وقلما نجد هؤلاء الناس بين السياسيين، لكننا نرى الكثيرين من الناشطين والمنظمات والهيئات التي تقدم الدعم والمشورة، والتأثير الإيجابي والخدمات، في سبيل الحدّ من الاستنزاف الكبير على الصعيد الإنساني وباقي الصعد. حتى يكون المجتمع المدني المحلي، ولا سيما منظمات المجتمع المدني في منطقة الجزيرة، جزءاً من عملية دعم الاستقرار في سوريا، ينبغي أن تركز جهوداً على مستويات عدة، كإنجاز التطوير الذاتي والحوكمة الفعلية داخلها، ومن ثم تتصدى للمشكلات التي تعاني منها المجتمعات التي تعمل ضمنها، وفي الوقت نفسه يجب أن لا تقتصر جهود مؤسسات الدعم الدولي على النهوض ببعض المنظمات مادياً وتقنياً ودعم مشاريع محدودة، بل على هذه المؤسسات أن تسعى لتحقيق شراكات طويلة الأمد مع المنظمات المحلية، تتضمن التدريب والحوكمة والمشورة، بما يخدم عملية التخلص التدريجي من أثر النزاع الحاصل وتبعاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية. تصدرت مناطق الجزيرة وشرق الفرات عموماً المشهد السياسي مؤخراً، وما تزال المشاريع السياسية والعسكرية الدولية والاقليمية تجاه هذه المناطق مبهمة، وهذا ما ينعكس على خيارات الناس وطرائق عيشهم، ويؤثر أيضاً على جهود دعم الاستقرار وتحقيق التنمية التدريجية التي يأمل المجتمع المدني تحقيقها وفق قدراته وموارده.

هيئة تحرير شار

قدمت الأمم المتحدة سبعة عشر هدفاً لإنقاذ العالم في ٢٠١٥/٩/٢٥، ووضعت رؤية في هذا الصدد تنشد الوصول لتحقيق هذه الأهداف سنة ٢٠٣٠. تتصدى هذه الأهداف لتحديات كالفقر والجوع وعدم المساواة، ومشكلة المناخ وتدهور البيئة، ولمسائل الازدهار والسلام والعدالة، وفي الوقت نفسه تقف في وجه الأهداف الطموحة عوائق كبيرة، سياسية واقتصادية وأمنية واجتماعية، وفي بعض الأحيان عوائق ثقافية أيضاً. قد ينجح العالم في تحقيق جزء من هذه الأهداف، ضمن الجدول الزمني الموضوع، فيما لو توفرت عوامل عديدة منها النية الصادقة لدى الدول الغنية والقوية في الحد من النزاعات، وتوفير الدعم الحقيقي لأنشطة مكافحة الفقر والجوع والتوافق الدولي على ترشيد الموارد وتهيئة مقومات التنمية في المجتمعات النامية، أو المأزومة بصراعات وحروب، وكذلك تأمين الشراكات الهادفة لإحلال السلام ودعم الاستقرار وازدهار الاقتصادات المحلية. السؤال الملح لدينا هو أين نقف نحن من هذه الأهداف الصعبة التحقيق، وماهي أدوارنا في تحديد مصير العالم؟ هل يمكننا تحديد بعض من خياراتنا الحياتية في ظل هذه الحرب والتهديدات؟ هل نستطيع أن نسهم، ولو بجزء بسيط، من جهود تحقيق التنمية المستدامة؟ إزاء هذه الرؤية والأهداف، قد لا يكون لأبناء البلدان الفقيرة والمأزومة أدوار حقيقية يقومون بها، بالنظر لسعيهم نحو الحفاظ على الأمن الشخصي والمجتمعي ضمن حدوده الضيقة، وجهودهم المحلية المحدودة في التخلص من آثار الحروب والنزاعات، وما ينجم عنها من أزمات اقتصادية واجتماعية، إذ ربما تكون هناك إرادة، لدى الفاعلين في الشأن العام الذين يؤمنون بالربط بين التنمية وبناء السلام، تحقيق التماسك الاجتماعي، لكن هذه الإرادة ستظل قاصرة وضعيفة فيما لو اعتمدت على جهود وموارد محلية محدودة، ولن يكون بمقدور السوريين تبني هذه الأهداف في القريب العاجل، وستكون قواهم

ثقافية تهتم بقضايا التعايش والشأن المدني ونشر قيم الديمقراطية والمجتمع المدني

لإرسال المساهمات والاقتراحات:
shar-mag@outlook.com

المقالات تعبر عن آراء أصحابها وتقوم شار بنشرها التزاماً بحرية الرأي والتعبير

حقوق النشر والطبع محفوظة
لمنظمة شار للتنمية

تصدر المجلة عن منظمة شار للتنمية



SHAR-MAGAZINE.COM

SHAR-MAG@OUTLOOK.COM

SHARMAGAZINE

SHARMAGAZINE

موقع المجتمع المدني في عملية التنمية المستدامة
هيئة تحرير شار

1 افتتاحية

أعياد الميلاد وخريطة التطرف
غولاي ظاظا

2 رأي

جذور العنف في المجتمعات السورية
داريوس الدرويش

4 رأي

إعادة إعمار الجزيرة... التقديرات والسيناريوهات
كمال أوسكان

6 تحقيق

التبرّع بالدم نافذة على الحياة
إعداد: د. هوكر معصوم

9 مقالة طبية

مشاهدات من زمن الحرب
جانو شاكر

10 فينشر

سوق الكتاب وكساد الثقافة
آزاد داود

12 تحقيق

مختارات من قصائد حافظ الشيرازي
ترجمة من الفارسية: ماهر جمو

15 أدب

التنمية حرّية لـ أمارتيا صن أنظمة سياسيّة حرّة تنتج تنمية حقيقية
جوان تتر

16 قراءة في الكتاب

حماية المدنيين وقضية التهجير القسري في القانون الدولي
روجين حبو

18 مقالة حقوقية

شيرزاد يقاوم المرض بالابتسامة و روح الفكاهة
عدنان حسن

20 فينشر

خطوات التأقلم مع المحيط للأطفال ضحايا ما بعد الصدمة
جيان حج يوسف

21 مقالة تعريفية

الهجرة، صراع مع الذات
شفيان إبراهيم

22 فينشر

الرماس العشوائي وضحاياه هم متجدد يقلق المواطنين
سولنار محمد

24 فينشر

أين نقف من العنف؟
هيئة تحرير شار

26 رأي

"مونتيسوري"... منهج رائد في دعم التطور الطبيعي للأطفال
ترجمة عن الانكليزية: نور محمد شيخو

28 مقالة تعريفية



تصوير: بيروز برك



تصوير: حبيب زافي

غالباً يكون سلبياً كونه قائم على الاستغلال، لكن في النهاية يسمح هذا الأمر بالحفاظ على بعض التنوع وحمانيته. ما قام به تنظيم داعش أنه استثمر الأقليات بشكل معكوس، أي يعرض قدرته على اقتلاعهم وتغيير البنية الاجتماعية وتدمير مراكز العبادة، وباتت مناطق التنظيم مختبرات للاضطهاد على كافة المكونات الدينية وطريقة لاستعادة مجد تاريخي مزيف.

بعد كل نكبة دينية تبقى أقلية تعيد التأسيس ببطء لينمو التنوع مجدداً، لكن مساحة انتشار التنوع تنخفض باضطراد مع الزمن لتتصر في أحياء صغيرة بالمدن الكبرى أو قرى معزولة. وإعادة التأسيس للمجتمعات المنكوبة شرق سوريا وشمالها تتطلب منهجاً أكثر عمقاً يؤسس لتسامح وليس سماح بالعيش.

إنّ الناجين من الإبادة في الوقت الحالي هم الناجون من المذابح أكثر مما هم نتاج التسامح الديني. لأن فعالية التسامح الشعبي يمكن التعويل عليها في حال كان الشعب صاحب قرار، وفي حال كانت هناك مؤسسات مدنية ذات حصة في معادلة التوازن الاجتماعي، وهذا يمكن تأسيسه فعلياً عبر سد منافذ التطرف الديني وإيجاد تعبيرات سياسية للتناقضات الاجتماعية.

إنّ منهج التعالي في التسامح السائد حالياً مشكلة يمكن إزاحتها بالتأسيس لعقد جديد من التعايش بين المكونات أساسه التساوي في الوجود أولاً ثم التسامح، لأنه بدون المساواة في حق الوجود قد يتحول التسامح إلى سماح بالعيش وهي صيغة لا تؤسس لمستقبل اجتماعي مستقر. نهاية داعش هي أيضاً نهاية لأسوأ شكل من أشكال التعالي على التعايش.

تكشف أسباباً أخرى لا تتعلق بالتسامح، إنما بتعهد السلطات حماية التنوع الديني، أو على الأقل الحفاظ على بعض مظاهر هذا التنوع. وهذا يحيل البقاء إلى قرارات السلطات المتعاقبة على المنطقة. في بعض الحالات على فترات زمنية متقطعة، كانت موارد الجزية تشكل سبباً لتفضيل الدولة العثمانية بقاء المسيحيين وعدم تحولهم إلى الإسلام. وفي حالات أخرى خلال القرن التاسع عشر لعب ضغط الدول الغربية دوراً كبيراً في إيلاء الأقليات الدينية اهتماماً، وفي الوقت نفسه عملت الدولة العثمانية على إظهار نفسها كدولة متعددة الأديان وضامنة للتعايش. لكن هل بدون قرار سياسي كان يمكن بقاء المسيحيين وغيرهم من الأقليات في دول المنطقة؟ يظهر مثال الأرمن في الدولة العثمانية أن قراراً واحداً سياسياً أدى إلى إبادة مليون ونصف المليون أرمني، ولم يتمكن «التسامح الشعبي» سوى في إنقاذ بضعة آلاف في ذلك الوقت أمام قرار التصفية. وبالمبدأ لو أن السلطة قررت حماية المسيحيين فلنم تنجح أي اعتداءات متطرفة في القيام بتصفية بهذا الحجم. وهذا يعني أن الإبادة الكبرى هي قرارات سلطوية بما فيها هجمات داعش على الأقليات وعلى المخالفين له من كافة الطوائف بما فيهم المسلمين. وقرار الإبادة يتحدد وفق منظومة الطاعة التي يضعها التنظيم أو السلطة.

هناك نقطة إشكالية تتعلق بسياسات الأنظمة المتعاقبة عبر التاريخ تجاه التنوع الديني لدى مقارنتها بسياسات داعش في نفس الإطار. لماذا قامت غالبية الأنظمة على مر التاريخ بالحفاظ – ولو في الحد الأدنى – من التنوع؟ الجزء الأكبر من الإجابة يكمن في استثمار التنوع. أحياناً يكون الاستثمار مادياً كما في حالات الجزية التي كانت إحدى مصادر الدخل، وأحياناً الاستثمار في «التسامح» لدى بعض الأنظمة من أجل التسويق لنفسه. التقييم الأخلاقي لهذا الاستثمار

أحد في المدينة، وتم إجبار من تبقى من المسيحيين في الرقة على اعتناق الإسلام أو دفع الجزية أو الموت، فاختارت غالبية العالمين في المكان الخيار الأول حفاظاً على حياتهم.

في العراق تعرض المسيحيون والإيزيديون إلى نكبات أكبر بسبب كثافة عددهم مقارنة بأعدادهم في مناطق سيطرة داعش في سوريا. وشهدت كنائس قليلة في العراق إحياء قداس عيد الميلاد بعد ٣ سنوات من الاحتلال الداعشي. ومن أصل مليون ونصف المليون مسيحي لم يبق في العراق سوى ٤٠٠ ألف، والذين سيعودون فإن قسم منهم سيأتي بغرض بيع ممتلكاته للهجرة النهائية. وسبق للإيزيديين احتفالوا بأعيادهم في سنجار بعد تحريرها من التنظيم وهي الأقلية التي تعرضت لأكبر إبادة في موجة الإرهاب التي اجتاحت المنطقة.

بعد سنوات عديدة قادمة سيكون هناك مسيحيون في الموصل وإيزيديون في سنجار، وسيتم الحديث عن حملات تصفية الشعوب القديمة في المنطقة، وسيخرج بعض من يرد عليهم أنه لو أن أهل المنطقة لم يكونوا متسامحين لما بقي هناك مسيحي واحد أو إيزيدي واحد بعد كل هذه السنوات من التعايش.

كانت هذه النقاشات في صلب كل أطروحة عن التسامح الديني في الشرق. غالباً يلجأ من يريد التغطية على ضيق مساحة التسامح الديني تاريخياً إلى السؤال التالي: هل كان سيبقى هناك مسيحيون أو إيزيديون وغيرهم من «الأقليات الدينية» لو لم يعيشوا في بيئة متسامحة؟

إن العودة إلى بعض الوقائع والفتن التي شهدتها المنطقة بطابع ديني

أعياد الميلاد وخريطة التطرف

غولاي ظاذا

توضح خريطة الاحتفالات بعيد الميلاد في ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ما هو أكثر من إحياء مناسبة خاصة باتباع الديانة المسيحية في سوريا على مدى سنوات الحرب المستمرة في سوريا. لم تشهد مناطق سيطرة تنظيم داعش وتنظيمات متطرفة أخرى مثل جبهة النصرة أي احتفال بالميلاد على مدار هذه السنوات، وخريطة الاحتفالات تكشف إلى درجة كبيرة خريطة قوى التطرف أيضاً.

مطلع عام ٢٠١٤ أقدم تنظيم داعش على إنزال الصليبان عن الكنيستين التاريخيتين في المدينة: البشارة والشهداء. وأحرقوا محتوياتهما وألحقوا بهما أضراراً كبيرة. وحولوا كنيسة البشارة إلى مقراً «للدعوة الإسلامية» وكنيسة الشهداء إلى سجن. وتم إحياء احتفال عيد الميلاد في الرقة بعد تحريرها من داعش للمرة الأولى منذ سيطرة التنظيم على المدينة، لكن الاحتفال كان رمزياً حضره ممثلون عن القوى المحررة أكثر من المسيحيين الذين لم يبق منهم

جذور العنف في المجتمعات السورية

داريوس الدرويش

ليس العنف المندلح في سوريا منذ سبعة أعوام غريباً عن السوريين أو عن أي شعب آخر. وفي الواقع، فإن «الحالة الطبيعية» البشرية منذ نشأتها كانت العنف والحروب، فيما كانت فترات السلم فواصل قصيرة بينها، رغم أن تلك الفواصل باتت أطول بعد الحرب العالمية الثانية. وكان العنف الذي ينتج معظم الجرائم هو الدافع لوضع أولى القوانين في التاريخ: «العين بالعين والسن بالسن».

ورغم تفشي العنف في جميع المجتمعات تقريباً حول العالم، بما تحمله هذه الممارسة من انفلات للقوة الغرائزية بالتزامن مع انخفاض في الخطاب العقلاني، داخلياً وخارجياً، إلا أنها ليست ممارسة عشوائية بالمطلق، بل تحتاج من جهة إلى مبررات يسوقها ممارس العنف لنفسه أولاً قبل الآخرين، ومن جهة أخرى إلى دافع قوي لممارسته.

يحتاج ممارسو العنف أولاً إلى الاقتناع بأن فعلهم ليس شريفاً، فقلة من الناس هم ممن يستمروون فعل الشر في سبيل مصالحهم، بينما تحتاج الغالبية إلى إيجاد قيمة أخلاقية إيجابية وربطها مع هذه الممارسة، أو على الأقل جعلها «عادية». الإيديولوجيات تقدم هذه القيمة وتزيل العوائق، وهي ليست بحاجة للقول لاتباعها «اقتل» بشكل مباشر، لأنها إن فعلت ذلك إنما ستظهر نفسها وكأنها «تعاليم شيطانية» تنفر منها معظم الناس، ومن بينهم معظم ممارسي القتل أيضاً (كالجنود مثلاً).

ولا تحتاج الإيديولوجيات أيضاً لإعطاء مبررات مباشرة للقتل والعنف عموماً، إنما يمكنها الاكتفاء بإخراج الضحايا من إطار الجماعة بوصفهم تهديداً يجب تحييده، أو إخراجهم من إطار الإنسانية كاملة لجعل العنف ضدهم مسألة «عادية»، وهي تعتمد في ذلك على «مشروعية» العنف ضد الآخر المستمدة بدورها من التاريخ الإنساني منذ بداياته وحتى يومنا هذا، ورغم تغير تعريف «الآخر» مع الزمن، إلا أن مشروعية العنف ضده لم تتغير بشكل عام.

فمثلاً، نجد أن العنف الممارس بين أفراد الجماعة الواحدة منظم بقوانين صارمة تجعل منه عنفاً مرفوضاً عموماً ومحسوراً بحالات قليلة نسبياً، وينسحب ذات الرفض على عنف الجماعة ضد أفرادها، ولكن فقط إن لم يترافق مع إخراج هؤلاء الأفراد (مجرمون، ثوار، خونة، كفار، زنادقة... الخ) من الجماعة، وهي المبررات التي ساقها السلطات في النظم القانونية البدائية، وإلى حد ما، الحديثة منها أيضاً، لتبرير فظائع مثل ملايين ضحايا معسكرات الغولاك والثورة الثقافية الصينية ونظام بولبوت، واضطهاد العلماء المسيحيين والمسلمين وغيرها الكثير.

هذا على العكس من العنف بين الجماعات الذي لم يتوقف منذ عصور ما قبل التاريخ، وهو مستمر إلى هذا اليوم مع غياب القوانين الملزمة والناظمة للعلاقات بينها، وهو غياب لا تسده بعض القوانين الدولية التي تفتقر لجانب الإلزام فيها. أضف إليها حتى العنف ضد الأجناس الأخرى غير البشرية، وهو، وإن كان قد يتخذ أشكالاً معتادة اليوم، كذبح الحيوانات للطعام أو صيدها للتسلية، إلا أنه اتخذ أشكالاً أكثر صدماً في أوقات سابقة، كالعنف الممارس على السود واستعبادهم المديد، أو الهولوكوست اليهودي، عبر إخراجهما لهاتين الفئتين من الانتماء الإنساني.

ولكن بموازاة العنف المبرر إيديولوجياً، ثمة عنف يجد تبريره في أكثر الغرائز أصلية لدى الإنسان، وهي غريزة البقاء، وهو مبرر أخذه معظم المشرعين في العالم بعين الاعتبار ووضع في القوانين تحت إطار الدفاع عن النفس، والذي اعتبرت ممارسة العنف تحته حقاً، بل واجباً قانونياً وأخلاقياً في الكثير من الحالات، مثل الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن الصادر عام ١٧٨٩م والذي يقر صراحة بـ «الحق في مقاومة الطغيان».

إلى جانب المبررات، يحتاج العنف أن يكون إما الخيار الوحيد أو الخيار الأسهل لحل صراع ما، ما لم يكن الانسحاب الطوعي من الصراع مطروحاً. ففي ميدان تيانانمين ببيكين عام ١٩٨٩، اختارت الحكومة الصينية تجاهل الإصلاحات التي طالب بها المتظاهرون وقررت أن تنفيذ تلك المطالب يهدد النظام السياسي في الصين، أي أنها «مكلفة جداً»، وبذلك لجأت للعنف المفرط بوصفه أقل تكلفة وأسهل تطبيقاً

من الإصلاحات. في حين أن المتظاهرين الصينيين اختاروا الانسحاب من الصراع وإنهاء المظاهرات بدل اللجوء إلى العنف المضاد.

من الجانب الآخر أيضاً، تبدو الإجابة على تساؤل لماذا لم تستخدم الحكومة الصينية ذات العنف ضد تايوان وهونغ كونغ مثلاً؟ أمراً سهلاً، إذ اختارت الانسحاب من الصراع عملياً في حالة تايوان، والوصول إلى اتفاق بعد وقت طويل في حالة هونغ كونغ. وكلتا الحالتين كانتا فقط لأن قرار اللجوء للعنف لم يكن سهلاً بالنسبة للحكومة الصينية، وهذا بدوره فقط لأن الطرف الآخر امتلك قوة (لا يهم إن كانت أصلية أو بالوكالة) تجعل من اختيار العنف بالنسبة للطرفين أمراً صعباً. وهذا ما يسعى بالردع الذي يعتبر اليوم هو الوظيفة الأصلية للترسانات النووية في العالم.

في المقابل، ما فعله غاندي الهندي بثورته السلمية ضد الاحتلال البريطاني كان أن طرح خيارات أخرى غير العنف أمام أتباعه، وبالعكس ما جرت العادة على قوله من «رحمة» المحتل الإنكليزي بالهنود، فإن المتظاهرين الهنود واجهوا عنفاً، مفرطاً في بعض الحالات، من قوات الاحتلال، أقلها كان في المظاهرات الشهيرة أمام مصنع الملح حيث تعرض المتظاهرون للضرب المبرح في كل مرة كانت مجموعة منهم تذهب لنقطة التظاهر، ليجري تبديلها بعد ذلك وتعالج جروحهم ويعودوا مرة أخرى...

كل مقومات العنف تلك كانت موجودة في سوريا مسبقاً، أو جرى تشكيل بعضها لاحقاً، فمن جهة لا يعدم السوريون المبررات لممارسة العنف، سواء الإيديولوجية منها التي حدد جماعاتها وأخرجت كل الآخرين منها،

كادعاء كل من النظام والمعارضة بأن كل واحد منهم فقط هو السوري فيما الآخرون خونة وعملاء، أو ادعاء الإسلاميين أنهم فقط مسلمون فيما باقي الطوائف والممل هم مرتدون أو كفار ومشركون، والتي وصلت أيضاً بين الطرفين إلى إخراج الآخر من الانتماء الإنساني كاستخدام مفردات مثل «الخنازير» في الخطاب الرسمي تمهيداً وتشجيعاً للقتل والاستعباد.

كما لم يعدم السوريون من مبرر حق الدفاع عن النفس ومقاومة الطغيان أيضاً، وإن كان نطاق هذا الحق يشمل النضال اللاعنفي أيضاً، إلا أنه لم يكن متوفراً عملياً بين السوريين لغياب تلك الثقافة بينهم نتيجة عدة أسباب منها غياب «غانديهم» الذي يستطيع إقناعهم بجدوى التظاهر السلمي، بدلاً من القيادات السياسية في المعارضة التي أوهمهم بقرب التدخل الخارجي وضرورة الانتقال إلى التسليح.

إلى جانب ذلك، فقد كان من الصعب على السوريين التوصل لقناعة بقدرته، ولا برغبة، المجتمع الدولي، وحتى المقرب من الأسد، من إجباره على إجراء إصلاحات، ما وضعهم أمام خيارين: إما الانسحاب من الصراع والتخلي عن معارضة النظام، أو مواجهة عنفه بوسائل لا يعرفون غيرها: عنف مضاد ممكن بالأخذ في الاعتبار الإمكانيات العسكرية والتقنية الفقيرة نسبياً للنظام، واختيار تجربة حظهم في الحرب التي تقول عنها حنا أرندت: «إن العنف يحمل في ذاته عنصراً إضافياً تعسفياً، والحق أن الحظ، سواء أكان سيئاً أو تيسياً، لا يمكنه أن يلعب دوراً حاسماً بالنسبة للبشر بأكثر مما يفعل في ميدان القتال».

تصوير: بيرو بريك

إعادة إعمار الجزيرة... التقديرات والسيناريوهات

كمال أوسكان

الحديث عن إعادة إعمار سوريا بات يأخذ حيزاً مهماً في النقاشات الدائرة ضمن الأوساط الدولية، إذ أن الحرب خلّفت بلداً مدمراً تحتاج إعادة إعماره إلى مليارات الدولارات، ورغم كثرة الدراسات والأبحاث التي حاولت تحديد تكلفة الحرب والخسائر التي تكبّدها الاقتصاد السوري والبنية التحتية خلال السنوات الست الماضية، إلا أننا لا نجد رقماً متفقاً عليه بين كل المراكز والجهات البحثية.

وقد تكون الدراسة التي وضعها لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا) بعنوان « برنامج الأجندة الوطنية لمستقبل سوريا »، أقرب إلى الدقة والموضوعية. حيث تقدّر الإسكوا تكلفة الحرب في سوريا بـ (٣٢٧,٥) مليار دولار.

خسائر الاقتصاد السوري (أرقام وحقائق)

بالعودة إلى دراسة الإسكوا نجد أن الاقتصاد السوري طالته خسائر فادحة جراء النزاع الذي عصفت بسورية وتدابيعاته الكارثية.

وللاستدلال إلى جسامته انعكاساته على الاقتصاد، يكفي أن نعلم بأن الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي قد انكمش بنسبة تقارب ٦٥٪ بين عامي ٢٠١٠ و ٢٠١٦، فقد تراجع من (٦٠) مليار دولار في العام ٢٠١٠ إلى (٢١) مليار دولار تقريباً في العام ٢٠١٦.

تعرّض رأس المال المادي إلى تخريب هائل، و تحمّل قطاع البناء والتشييد القسم الأكبر من خسارة مخزون رأس المال خلال فترة النزاع والمقدّرة بـ (١٠٠) مليار دولار، وهو ما يقدر بحوالي ٣٠٪ من إجمالي الخسائر نتيجة العمليات القتالية والدمار الذي لحق بالمباني الخاصة والعامة والمنشآت الحكومية والمدارس والمشافي. كذلك أصابت قطاع الصناعة التحويلية خسائر كبيرة في مخزون رأس المال الثابت قدرّت بـ ١٨٪. ونال قطاع الصناعة الاستخراجية والمعادن نصيبه من الخسائر نتيجة تدمير البنية التحتية للحقول ومكامن الاستخراج وشبكات النفط والغاز قدرّت بـ ٩٪ من إجمالي الخسائر. كما حصل دمار كبير ضمن قطاع المرافق (شبكات الكهرباء والمياه

والصرف الصحي) يعادل بـ ٩٪ من إجمالي الأضرار.

وتشير التقديرات إلى انخفاض الإنتاج الزراعي بمعدل ٥٧٪ بين عامي ٢٠١٠ و ٢٠١٥. ويعزى تراجع الإنتاج الزراعي إلى تراجع المساحات المزروعة بنسبة ٢٥٪. فقد بلغت المساحة المزروعة خلال هذه الفترة (٣٦٠٠) ألف هكتار من أصل المساحة القابلة للزراعة البالغة (٦) ملايين هكتار. وقد أثر هذا التراجع على حياة السكان وفق تقديرات برنامج الغذاء العالمي التي تشير إلى أن حوالي ٣٣٪ من السكان غير آمنين غذائياً في سورية. وتزداد حالة انعدام الأمن الغذائي بشكل خاص بين سكان الأرياف. ويقدر أن ما يزيد عن ٤٥٪ من سكان منطقة الجزيرة يفتقدون للأمن الغذائي وفق برنامج الغذاء العالمي، كما توصّل برنامج الغذاء العالمي في تقريره إلى أن أكثر من ٧١٪ من الأسر السورية تقع تحت خط الفقر.

تقسّم (الإسكوا) في دراسة لها، كلفة الحرب السورية إلى : (٢٢٧) مليار دولار بسبب الفرص الضائعة، و (١٠٠) مليار دولار قيمة الدمار الفيزيائي ؛ لكنّ دراسات أخرى ذهبت لتقديرات أكبر، منطلقة من الكتلة المالية التي تحتاجها إعادة إعمار كل قطاع.

نصيب الجزيرة من الخراب

تعتبر منطقة الجزيرة من أغنى المناطق السورية بمواردها الاقتصادية وتنوّع هذه الموارد ولا سيما الزراعية منها. غير أنها كانت طوال فترة حكم حزب البعث من أفقر المناطق، بالرغم من استتباب الأمن فيها ومواكبة للحديث الجاري عن إعادة الإعمار في سورية، والتي يراها البعض أنها ليست عملية اقتصادية بحتة، بل تلعب السياسة الدور الرئيس فيها، خاصة مع غياب حل سياسي شامل في سوريا، لن تقدّم أية شركة أو حتى أي برنامج دولي على الاستثمار في منطقة تواجه مصيراً مجهولاً.

المرتكزات الاقتصادية لإعادة إعمار الجزيرة

أقرّت الإدارة الذاتية في مقاطعة الجزيرة موازنتها السنوية لعام ٢٠١٦ بقيمة (٢) مليار و (٧٠٠) مليون ليرة سورية، معتمدة على عائداتها من النفط والغاز والمحاصيل الزراعية والضرائب كما أن المنطقة لم تتعرّض للتدمير أو التخريب في بنيتها التحتية الموجودة كمبثلاثاتها من المحافظات السورية، غير أنها كانت بالأساس مهمة وتطبق عليها سياسات تمييزية وتحجب عنها التنمية والإعمار. ولا يعني هذا أن الحرب لم تؤثر فيها. حيث شهدت العديد من القطاعات تراجعاً كبيراً تجاوز ٥٠٪ من طاقتها الإنتاجية نتيجة الحرب والحصار. وهي بحاجة لأموال ضخمة مرصودة حتى تستعيد عافيتها. وسنحاول استعراضها هنا بشكل سريع:

قطاع النفط

يبلغ عدد آبار النفط في منطقة الجزيرة (١٨٣٩) بئراً، منها (١٤٦٤) بئراً منتجة. أما الآبار المتبقية فهي متوقفة تعاني من عوائق فنية تحول دون الإنتاج.

تزايد إنتاج النّفط في تلك الآبار منذ حفرها وحتى عام ٢٠١١ بشكلٍ طرديّ، حتى بلغ إنتاج حقول الحسكة (١٦٥) ألف برميل يومياً آنذاك.

وانخفض إنتاجها بعد الأزمة حتى صار (١٥) ألف برميل يومياً بحسب بعض المصادر.

ومن مجمل الآبار الموجودة في المحافظة تم إعادة تشغيل (٢٠٠) بئر من قبل الإدارة الذاتيّة أما الغاز فيتراوح إنتاجه بين (١٠) إلى (١٢) ألف أسطوانة غازٍ يومياً.

قطاع الزراعة

منطقة الجزيرة التي تبلغ مساحتها حوالي (٢,٣) ملايين هكتار تشتمل على أكبر مساحة للأراضي الزراعية بين المحافظات السورية، وتبلغ مساحة الأراضي القابلة للزراعة فيها (١٥٧٨) ألف هكتار، وهي تعادل ٢٧,٧٪ من إجمالي المساحات القابلة للزراعة على مستوى سوريا البالغة (٦) ملايين هكتار وتصل إنتاج منطقة الجزيرة لوحدها حوالي (٦٩٦) ألف طن حبوب، أي بنسبة ٣٧٪ من إنتاج سوريا للحبوب، كما تنتج بحدود (١٥) ألف طن من القطن أي بنسبة ٣٩٪ من إنتاجها بحسب المجموعة الإحصائية في ٢٠١٦، ويلاحظ التراجع الكبير حسب الأرقام الواردة، مقارنة بإنتاج ٢٠٠٧. حيث وصل إنتاج محصول القمح إلى (١٤٧١) ألف طن، وبمعدل تراجع أكبر بالنسبة لإنتاج القطن، حيث وصل الإنتاج إلى (٢٧٣) ألف طن في ٢٠٠٧.

القطاع الصحي

تبيّن الأرقام واقع منطقة الجزيرة قبل اندلاع الأزمة في سورية: افتقارها إلى الخدمات والكوادر الطبية والبنى التحتية، حتى بالمقارنة مع بقية المحافظات السورية، بحسب مكتب الإحصاء المركزي وفق أرقام العام ٢٠١٠. حيث تضم منطقة الجزيرة (٣٢) مشفى بين حكومي وخاص يتوفر فيها (١٣٤٨) سريراً فقط، أي بمعدل سرير لكل (١٠٨٣) شخصاً.

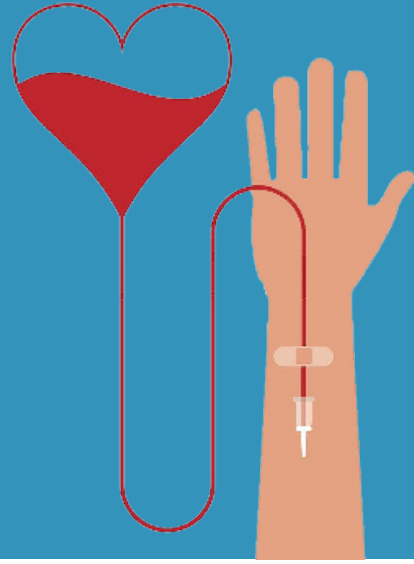
بالنظر إلى واقع بعض البلدان التي توفر الرعاية الصحية الجيدة لمواطنيها، فإن دول الاتحاد الأوروبي توفر (٦٣) سريراً مقابل (١٠) أسرة في إفريقيا لكل (١٠,٠٠٠) نسمة، ما يجعل المتوسط العالمي يتراوح حول (٣٦) سريراً لكل (١٠,٠٠٠) نسمة، أي بمعدل (٢٧٧) شخصاً لكل سرير، وهو رقم يبدو بعيداً عن واقع معدل الأسرة بالنسبة للسكان في منطقة الجزيرة، حيث يبلغ المعدل (١٠٨٣) شخص لكل سرير. و هو يعادل أربعة أضعاف المعدل العالمي.

قطاع التعليم

وفق أرقام المكتب المركزي للإحصاء بلغ عدد المدارس في منطقة الجزيرة في ٢٠١٠، أي قبل الأزمة (٢٢٧٧) مدرسة، من بينها (٢١٢٦) مدرسة للتعليم الأساسي و (١١٢) مدرسة ثانوية و (٣٩) مدرسة للتعليم المهني. بمقارنة هذه الأرقام مع أعداد المدارس التي تديرها الإدارة الذاتية في إقليم الجزيرة وفق تقرير نشر على وكالة أنباء مقربة من الإدارة الذاتية حول الوضع التربوي والتعليمي في المقاطعات الثلاث للعام الدراسي ٢٠١٥/٢٠١٦، يتبيّن أن عدد المدارس في مقاطعة الجزيرة هو (١٣٩٤) مدرسة ابتدائية و (١٩٥) مدرسة إعدادية و (١١٠) مدارس ثانوية و (١١١) مدرسة مشتركة لهذه المراحل الثلاث، كما أن عدد معاهد إعداد المدرسين هي (١٢) معهداً وأكاديمية. كما يوجد بعض المدارس التي لا تزال تدار من قبل النظام.

التبرّع بالدم نافذةٌ على الحياة

إعداد: د. هوكر معصوم



للمتبرعين الإناث على الأكثر، بفاصل زمني متساوي بين كل تبرع، و يفضل أن تستشير النساء في سن الإنجاب طبيها قبل التبرع .

-متى يمكن للشخص التبرع بالدم ؟

الأشخاص بين سن ١٨ سنة لحين ٦٠ سنة بإمكانهم التبرع، وللتبرع شروط تتضمن أن يكون وزن المتبرع فوق ٥٠ كغ، وتتضمن أيضاً الخلوّ من الأمراض المزمنة والأمراض الوراثية (كالتهابات الكبد B و C والصدفية).

-هل هناك مخاطر من التبرع بالدم ؟

التبرع بالدم لا يعرض المتبرع لأيّ خطر من الإصابة بأي مرض .

ولكن يجب أن تكون الأدوات المستخدمة في عملية سحب الدم معقمة وألاّ تستخدم لشخص آخر ويتم التخلص منها بعد عملية التبرع بالدم .

-خطوات قبل وبعد التبرع بالدم :

*قبل التبرع : يتمّ تخفيف الكافيين والمنهات بما فيها القهوة والتدخين، وأخذ راحة وكمية غذاء معتدلة.

*بعد التبرع : الإكثار من شرب السوائل خلال الساعات التالية للتبرع، الامتناع عن التدخين لمدة ساعة، وعدم إزالة البلاستر مكان الوخز بفترة ساعتين .

-ماذا لو كان الشخص يتناول أدوية ؟

معظم الأدوية لا تتعارض مع التبرع بالدم، وبالإمكان إبلاغ الجهات الصحية التي تقوم بقطف الدم عن مدى تعارض العلاجات التي يتبعها الشخص مع التبرع بالدم.

-ما كمية الدم التي يتم أخذها من المتبرع في المرة الواحدة ؟

٤٥٠ مل ليتر، أي حوالي ١٢١ من إجمالي كتلة الدم في جسم الإنسان البالغ .

بالإمكان التبرع في مراكز التبرع والمشافي العامة .

سجلت أول محاولة لنقل الدم في القرن التاسع عشر قام بها الطبيب الإنكليزي جيمس بلونديل غير أنها لم تتكلل بالنجاح ربما لعدم المعرفة بالزمر الدموية وتفاعلات التصلب الدموي التي تم اكتشافها في بدايات القرن العشرين.

ونظراً لضرورة توافر الدم في الحروب العالمية، توافقت المحاولات والتجارب و اكتشفت طرق حفظ الدم خارج جسم الإنسان و أستحدث أول بنك دم في عام ١٩٣٢ في مشفى لينينغراد، روسيا.

تسجل سنوياً أكثر من ١٠.٨ مليون عملية تبرع بالدم، نصفها يكون في البلدان ذات الدخل المتوسط والمنخفض حيث يعيش ٨٠٪ من سكان العالم، ونصفها الآخر في البلدان المتقدمة أو ذات الدخل المرتفع حيث يعيش ٢٠٪ من سكان العالم، أي أن معدل التبرع في البلدان المتقدمة ذات الدخل العالي يعادل تسعة أضعافها في البلدان النامية أو ذوات الدخل المتوسط والمنخفض.

للتبرع بالدم فوائد عديدة تشمل المتبرع والأخذ، إذ بقي التبرع بالدم المتبرع من أمراض القلب والشرابين. عادة ما تكون أمراض القلب أكثر شيوعاً في الرجال عن النساء في سن الإنجاب (يعتبر الحيض بمثابة التبرع بالدم من الناحية الطبية حيث يتم تجديد كريات الدم مما يعادل بشكل أو بآخر عملية التبرع بالدم)، وبقي التبرع بالدم أيضاً من السرطانات حيث يتم التخلص من جزيئات الحديد الجواله الفائضة في الدم التي بدورها قد تطور جذوراً حرة تعتبر من العوامل المسرطنة. ولا تخفى علينا أهمية التبرع بالدم في الكشف المبكر عن بعض الأمراض التي يمكن كشفها بالاختبارات التي تجري لدم المتبرع، إضافة لدور التبرع بتجديد الدورة الدموية.

قد ينقذ التبرع بالدم حياة أشخاص، ٤,٦ أشخاص من كل ١٠٠٠ نسمة هم بحاجة إلى تلقي الدم سنوياً في البلدان النامية، نتيجة إصابتهم بأفات رضية وأثناء العمليات الجراحية والمضاعفات المتعلقة بالولادة وفقر الدم الشديد وأسباب أخرى أقل شيوعاً.

-كم مرة يمكن للشخص التبرع سنوياً ؟

يوصى بالتبرع حتى ٤ مرات سنوياً للمتبرعين الذكور، و ٣ مرات سنوياً



تصوير: حبيب زافي

أسير قوتين متناقضتين، قوة داخلية تهدف إلى البناء، ولن تكون قادرة على تحقيقها، وقوى خارجية تهدف إلى عرقلة الإعمار الحقيقي لتبقى متدخلة في بعض حيثيات الواقع السوري».

في حين يرى الأستاذ الجامعي الدكتور مسلم عبد طالاس صعوبة في وضع سيناريوهات اقتصادية تتعلق بإعادة الإعمار في منطقة الجزيرة ، في وقت لم تتبلور فيه السيناريوهات السياسية بعد . لكنه يرى بعض النقاط المفيدة في هذا السياق والتي يبدأها بسؤال عما إذا كانت منطقة الجزيرة قادرة على البدء بعملية إعادة إعمار . يقول الدكتور مسلم : «الأمر هنا يتوقف على ثلاث قضايا : وجود الإطار السياسي الذي سيحتضن العملية، ووجود الإدارة الاقتصادية، من حيث المؤسسات والكوادر البشرية، وأخيراً وجود الموارد المالية من أجل تمويل عملية إعادة الإعمار».

ويعتقد الدكتور مسلم أن الحالة السياسية على مستوى منطقة الجزيرة لم تتبلور تماماً من حيث علاقة الوضع في الجزيرة مع الوضع السوري العام ، ومن حيث المؤسسات الاقتصادية والإدارية والكوادر البشرية، فهناك حد معين من المؤسسات لكنه غير كاف وهناك نقص حاد في الكادر البشري بسبب الحرب والهجرة خارج البلاد.

وعن الموارد المالية والجهات التي يمكن لها تنفيذ إعادة الإعمار ، يقول الدكتور طالاس : «يمكن أن تقدم الدول والمؤسسات المالية الدولية المانحة للمساعدات بعض المساعدات التقنية التي تغطي جزءاً من النقص لكن ليس كله.» ومن حيث الموارد المالية ، يوضح الدكتور مسلم أنه ليس هناك تقديرات دقيقة للخسائر والدمار، لكن الخسائر والدمار في منطقة الجزيرة، في أدنى درجاتها نسبياً. مع ذلك لا يمكن الاعتماد على الموارد المحلية فقط من أجل القيام بعملية إعادة الإعمار.

في هذا التحقيق تحاول مجلة (شار) عرض وجهات نظر بعض الخبراء والاقتصاديين حول مرحلة إعادة الإعمار والتصورات والسيناريوهات الممكنة والفرص المحتملة ، على ضوء الأرقام الصادرة عن مراكز الدراسات والجهات البحثية ، بغض النظر عما إذا كان من سيقوم بإعادة الإعمار جهات دولية أو محلية.

يرى الاستاذ الجامعي الدكتور أحمد يوسف رئيس جامعة عفرين أنّ موضوع إعادة الإعمار هو من أكثر المواضيع تعقيداً في بلد شهد دماراً شاملاً على صعيد البنية التحتية والقيم الأخلاقية والاجتماعية، و أن عملية إعادة الإعمار، وإن تم الإعلان عنها من قبل جهات دولية ذات كفاءات اقتصادية عالية، لن تتجاوز تنمية بعض المشاريع التي تكون من صلب عمل الشركات العالمية المتعددة الجنسيات.

لكن لا يخفي الدكتور أحمد تأثير القوى العسكرية الأجنبية في هذا السياق يقول : «يجب أن نأخذ في الاعتبار تأثير القوى العسكرية الأجنبية المتواجدة على الأراضي السورية، وأخص بالذكر القوتين الأمريكية والروسية. فلا شك أنهما سترسمان الخارطة الاقتصادية السورية ، وفق ما تمليه مصالحهما الاستراتيجية، والتي قد تترجم على أرض الواقع من خلال تطوير البنى التحتية في بعض المناطق الجغرافية التي تقع تحت سيطرتها. فإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تخطط للسيطرة على جغرافية شمال سورية لتحقيق سيطرتها من الحدود الإيرانية إلى البحر الأبيض المتوسط، فستقوم بالتأكيد بتطوير البنية التحتية المساعدة لسهولة الانتقال على امتداد تلك الجغرافيا ».

ويشير يوسف الى نقطة ذات أهمية كبيرة عند الحديث عن إعادة إعمار سورية قائلاً : « الأرقام الفلكية التي تحتاجها عملية إعادة الإعمار. لا توجد دول في العالم يمكنها المساعدة بصورة حقيقية في هكذا عمليات ، على حساب دافعي الضرائب لديها، لذلك سيقع الشعب السوري

مشاهدات من زمن الحرب من قال أنّ معاناة الأبرياء تنتهي بانتهاء المعارك؟

جانو شاكر

أن تكون مراسلا صحفيا يعني أنّ لديك فرصا دائمة للتعرف على وجوه وأماكن جديدة، ويعني أنّ عليك معالجة مواضيع متنوعة تتصل بمصائر الناس وحيواتهم، آمالهم وآلامهم. فالعمل الصحفي قد يدفعك إلى اللقاء بمن يتخذون القرارات في الصباح، ومع البسطاء ممن تأثروا بتلك القرارات في المساء.

ما تقدّم يوضّح شيئا من طبيعة مهنة المتاعب التي تعدّ - في ذات الوقت - من أكثر المهن بعدا عن النمطية والروتين، ومن أكثرها مقدرة على تجديد الشخصية، إلا أن ما يضفي مزيجا من المفارقة والتميّز على العمل الصحفي؛ هو ممارسته زمن الحرب، حين تغدو الحقيقة أولى الضحايا.

المفارقة هنا لا تأتي فقط لأنّ على الصحفي العمل ضمن ظروف تفرضها مزاجية سلطات قائمة، مع الحرص على الاحتفاظ بقدر من الاستقلالية في نقل الحقائق، لكن الحرص على أداء دور رقابي قد يجلب مخاطر كبيرة، إذ يغدو الصحفي بمجرد قوله للكلمة؛ غير مرغوب به، وليس أدلّ على ذلك من مقتل ٦٣٤ صحفي منذ بدايات الأزمة السورية وفق مصادر حقوقية.

الاستثناء والمفارقة يأتيان أيضا من أنّ طبيعة التغطية الإخبارية في الحرب، قد تفرض التجرد في نقل الوقائع، ما يجعل الضحايا مجرد أرقام أحيانا. والصدفة قد تتيح الفرصة لتغطية قصّة إنسانية من أحد شوارع المدن التي أتت عليها الحرب، إلا أن حجم الدمار يطلّ دائما كشاهد على أنّ آلاف القصص قد غابت، لا بل إنّ قصة ذات المدينة مع سكانها قد تطوى، ما إن تنتقل رجلي المعارك إلى مدينة أخرى غيرها.

هي الحرب حين تبرع في بث الألم والمفارقات، وكيف أنّ تفجيراً في القامشلي يغدو حدثاً غير ذي قيمة خيرية بالنسبة لوسائل الإعلام، فقط لأنّه لم يوقع بضحايا، ذلك ما القيمة الخيرية في تفجير عبوة ناسفة لم تؤدي سوى إلى تضرّر عامود إنارة، أمام جهات متزامنة في مدّن أخرى يقضي فيها العشرات يوميا؟!

خلال ست سنوات من العمل الصحفي، تنقلت بين دمشق ومختلف

مناطق الشمال، صادفت خلالها المئات من الوجوه والأشخاص، وقمت بتغطية المظاهرات كما والمعارك لاحقا، لكن في خضمّ كلّ ذلك لم تبق في ذاكرتي، سوى مشاهد بعض البسطاء متقدة بتفاصيلها.

مشاهد هي أقرب إلى خلاصة تجارب في زمن الحرب، لكنّها تكاد تختصر حقيقتها وتجردها عارية أمام آلام الضحايا. بعضها قد يحمل الكثير من الأمل والإدهاش، لما قد يستطيع المرء تحمّله من أهوال. كما إنّ أخرى قد تكشف عما تجرّه المآسي من انقلاب عاصف في شخصية الإنسان وقناعاته السابقة ونظرته إلى الحياة.

المشهد الأول؛ حاجز عسكري يحتجز وراءه طوفانا بشريا، لا يسمح بمرور شيء دون تفتيش دقيق. المكان: شارع طريق جرابلس شمال مدينة منبج. الزمان: لحظات تعقّب انسحاب ما تبقى من مقاتلي داعش باتجاه جرابلس.

هؤلاء كانوا آخر المدنيين الذين احتمت داعش بهم كدروع بشرية خلال أيامها الأخيرة في المدينة، لذا بدت وجوههم مشرقة، وعدسات الزملاء استطاعت تخليد لحظات كانت فيها بعض النسوة يخلعن السواد، بينما أخريات يرتشفن الدخان في تشفٍ ونكاية بالزمن الذي كانوا يعيشونه حتى قبل ساعات.

ليس بعيدا من ذاك التجمهر والفرح العارم، كان سبعتي على أحد الأرصفة محاطا بخمسة أحفاد؛ بدوا في أعمار متقاربة لا يتجاوز أكبرهم السبع سنوات. العجوز تنقل بناظره بينهم وهم يتناولون قطع البسكويت بهم، بينما كان هو يحمل مثلهم دون أن يأكل شيئا، وما أن انتهوا من تناول حصّتهم حتى قسّم العجوز عليهم ما بين يديه.

وجوههم المتعبّة وهيئاتهم كانت تبعث شعورا باحتياجهم إلى المساعدة، ما دفع بي إلى سؤالهم.

فأجابني العجوز موجزا: هؤلاء أحفادي من ولديّ المسافرين خارج البلاد، أما نحن فقد انفصلنا قبل ساعات عما تبقى من عائلتنا؛ جدتهم و٣ من عماتهم وأمهاتهم، وذلك بعد أن سبقونا في اجتياز حاجز التفتيش ذاك، وقبل أيام فقدنا منزلنا و معه شقاء عمرنا بعد أن تهدّم في القصف، كما أنّي سبق وخسرت اثنين من أبنائي بعد أن أعدمتهم داعش، وها أنت ترى الآن حالنا، لكن بالرغم من كل ما حدث، إلا أنّي أشعر - يا بني - وكأنني ولدت من جديد، وكل هذا الفرح الذي تجده على وجوه العباد، هو ليس فرحا للخروج من سجن استمر ثلاثة سنوات، بل هو فرح لعودتنا من الموت و خروجنا من الجحيم.

العجوز لم يخفِ عدم معرفته بالقوة التي سيطرت وأنقذتهم، «لكن الخلاص من داعش لا يمكن أن يوازيه أي عيد».

المشهد الثاني؛ دخان يتصاعد والدمار يعمّ الأرجاء، وهرج يختلط فيه صراخ النساء مع أصوات سيارات الإسعاف، وأناس يركضون في كلّ الجهات. المكان شارع طريق عامودا حيث قضى أكثر من ٥٨ مدنيا بينهم ١٣ من عائلة واحدة، فيما اختفت جثث بعض الضحايا وبقوا دون شاهدة قبر، كما تغيّرت ملامح حيّ ومعها حياة عشرات العائلات في

الجوار: الزمان: وقت قصير عقب وقوع تفجير بشاحنة مفخّخة.

في الأثناء اندفعت عجوز من بين الجموع وتوقفت على حافة أحد الأقبية وانهارت باكية حيث انهار بناء استقرّ بكامله ركاما داخل القبو. نادى على اختها وأطفالها وردّت أسمائهم. نظرت بحسرة إلى الأسفل حيث يبحث عمال عن ناجين محتملين تحت الركام. مشهد العجوز الذي بدا أكثر تعبيرا عن هول الفاجعة حاول مصور صحفي التقاطه بكاميرته، فتقدّم نحو المرأة وقرّص حتى يجعلها في مستوى عدسته، لكن العجوز التي انتهت فجأة لما يجري من حولها، التقطت حجرا مما تبقى من جسم المبنى المهدم وألقت به في كامل قوتها بوجه الصحفي. لحسن الحظ لم يصب الحجر مراده. فانسحب الصحفي على الفور مبتعدا، بينما عادت أنظارنا لترمق العجوز في تساؤل ودهشة وشيء من الرهبة.

المشهد الثالث؛ لرجل في العقد السابع من عمره بريف تل أبيض. وصفه الأهالي بالخوجه الحكيم، وخير من يستطيع أن يتكلم عن أحوالهم، فقد كان مربيا لأجيال في هذه المنطقة التي تجمع بين الكرد والعرب، ودرّس فيها للمرحلة الثانوية لعقود، لذا يعرفه غالبية سكانها بعد أن تحول بعد التقاعد إلى إمام وخطيب جامع لخمسة عشرة عاما.

لدى لقائي به، قدّم لي تصريحاً بليغا من دون تكلف، فأثنت عليه بإطراء على شكل سؤال، أو لازلت تمارس الخطابة حتى بقيت محتفظا بهذه البلاغة في الرد؟.

لكن رده جاثني صادما: «الخطابة كانت فيما مضى، حين كنت إماما لأعوام، أما الآن فأنا اقترح بيع ذلك الجامع، لكن لا أحد يشتريه، كما لا يرضى أحد الاستفادة منه كمركز ثقافي».

الرجل الحازم في نبرته كان قد أوضح لي قبل ذلك أنّ داعش ارتكبت الفضائع في قريته والمناطق المجاورة لها، كما وهبت أملاكهم كغنائم واعتبرته كافرا يجب أن يقام عليه الحدّ نحرا.

في طريق العودة انتابني الندم لما لم استوضح أسبابا أخرى لذلك الانقلاب العاصف بشخصيته، لكن الموقف أعاد لذاكرتي وصفا لنازح عجوز، قال لي: إنها الحرب يا بني، حيث لا تنتهي معاناة الأبرياء مع انتهاء المعارك.

سوق الكتاب وكساد الثقافة

آزاد داود

في إحصائية ذكرها الكاتب الألماني مارتين ماريا شفارتش وردت في مقال نشره معهد غوته على صفحته الالكترونية في آذار ٢٠١٥ حول سوق الكتاب في بلده، يؤكد الكاتب فيها أن «١٠٠٠٠ كتاب يدخل سنوياً إلى السوق الألمانية»

هذه العبارة دفعت كاتب هذا المقال إلى إحصاء لمطبوعات الكتب والمجلات في منطقة الجزيرة ليصل إلى نتيجة مفادها أن سوق الكتاب في المنطقة ورغم التحسن في المنتج المحلي هو قطاع مهمل ومتراجع بجميع مراحل وقطاعاته، ابتداء بالنشر والتوزيع ووصولاً إلى زبائنه..

فسوق الكتاب: هو كل إنتاج وصناعة للكتاب المحلي عبر مؤسسات حكومية - دور نشر - مؤسسات ثقافية مستقلة- إصدارات الأحزاب السياسية - إصدارات المؤلفين الخاصة إضافة إلى الكتاب المستورد و الذي يباع (أي الكتاب) بغض النظر عن مصادره الموصلة للأفراد عن طريق المعارض ومتاجر الكتب إضافة أو عبر منافذ التصدير إلى أسواق الكتب الدولية.

ما الذي ننتجه وإلى أين يتجه سوق الكتاب ؟

في فترة النشر السوفيتي ظهر مصطلح «تعميم الكتاب» أي جعله سلعة شعبية متداولة بين مختلف طبقات الشعب، ورافق دعم الكتاب مادياً إعلان عن الكتب بأساليب عدة (مناقشات ومحاضرات عامة أو برامج تلفزيونية وإذاعة أو ترويج عبر الصحف تمحورت حول الكتب ومضامينها) ورغم أن التجربة الحالية لأكاديمية المجتمع الديمقراطي ودور النشر التابعة للإدارة الذاتية تشبه إلى حد ما فترة النشر السوفيتي إلا أن هنالك فروقات جوهرية أخرى بين التجريبتين، فقد أصدرت دار شلير ŞİLÊR وطُبعت في وقت قياسي من سنة ٢٠١٧ وفي أقل من أربعة أشهر (من شهر نيسان إلى أوائل شهر آب) أكثر من ٤٠ كتاب (جلها كتب أدبية) باللغتين العربية والكردية رديئة الطباعة والإخراج وبسعر مدعوم، كما أن بعض من الهيئات والمؤسسات التابعة للإدارة الذاتية وبعض الأحزاب تصدر مجلاتها الخاصة (فصلية أو شهرية) منها ما يصدر بشكل منتظم، و أكثرها بوتيرة غير منتظمة، إضافة لرداءة طباعتها سواء أكانت من إنتاج المطابع أو من إنتاج الطابعات المكتبية.

سوق الكتاب الخاص متمثلاً بدور النشر والمؤسسات الثقافية المدنية والطبعات الخاصة على نفقة الكتّاب شهد سنة ٢٠١٧ إنتاجاً متميزاً يعد أفضل إنتاج للكتب في منطقة الجزيرة مقارنة مع السنوات الماضية، حيث قدر إنتاج مؤسسات مثل هنار HINAR و دار DAR

تصوير: حبيب زافي



من الكتب بحدود ٢٠ كتاب، و طبع اتحاد كتاب كردستان سوريا ١٠ كتب و العدد الأول من مجلته «القلم الحر»، كما أن مؤسسة سورمي أصدرت ثلاثة أعداد من مجلة سورمي SORMEY و كتابين للأطفال و دراسة عن الواقع الثقافي في الجزيرة و كوبياني بين (٢٠١١- ٢٠١٦) بالشراكة مع مجلة «Rê»، و التي أصدرت بدورها عدددين من مجلتها في سنة ٢٠١٧، كما أصدرت منظمة شار للتنمية عدد مجلة (شار) السابع ضمن نفس الفترة.

يصعب تحديد عدد الكتب المطبوعة على نفقة الكتّاب الخاصة بسبب غياب الدعاية الاعلانية ورداءة طباعة معظمها باستثناء قلة قليلة والتي تدفع القارئ إلى العدول عنها وبسبب قلة عدد نسخ الطبعة المنشورة من الكتاب، فقد طبع أحد الكتّاب كتاباً له في أواسط ٢٠١٧ وصلت عدد النسخ لطبعته الأولى الى ٣٠ نسخة فقط منسوخة على طباعة مكتبية.

مع تحسن كمية الإصدارات المحلية التي لا تزال تنتج بوتيرة ضعيفة ولا تلي أذواق جميع القراء، يتجه سوق الكتاب إلى النمو بوتيرة أفضل وعناية بالكتاب أكثر من ذي قبل، ولكن لا يزال التوزيع هو ما يشغل بال الناشرين بالدرجة الأولى سيما أن المنطقة تعيش حالة حرب وحصار تجعل من الكتاب المحلي أسير الحدود وغياب متاجر الكتب التي تحوي الكتاب المحلي.

الكتاب الكردي من رحلة العرقلة والحظر إلى عمليات التجميل.

عانى الكتاب الكردي في سوريا من حظر النشر قديماً عدا فترة الانتداب الفرنسي حيث كان مسموحاً آنذاك و بدأت عرقلة النشر والحظر عندما أصبحت سوريا دولة مستقلة حيث قدر (م.الميسانج) في بحث أعدّه لصالح مؤسسة نيكست بيع سنة ٢٠٠٦ بعنوان (ماضي وحاضر نشر الكتب باللغة الكردية في سوريا) ترجمه عمر رسول لموقع مدارات كرد، أنّ الرقم الإجمالي للكتب المنشورة بالكردية التي تمكن من إيجادها هو ٢٢٠ كتاباً حتى عام ٢٠٠٦، و أضاف:

«لقد وجدت عشرة كتب نشرت بشكل رسمي في سوريا، ومعظمها كانت إمّا كتباً للأطفال أو كتباً تحتوي نصوصاً فلكلورية وباللغتين الكردية مع ترجمتها العربية. ويقول الكتّاب الكرد أن كردياً كان يعمل في تلك الفترة في وزارة الإعلام (د. محمد عبود النجاري- المترجم) وهو الذي دبر هذه التراخيص لتلك الكتب. وبفضل هذا الشخص طبعت الكتب الكردية قانونياً في سوريا وصار بإمكان بيعها في مكتبات (دمشق، وحلب، والمناطق الكردية) أو حتى تم إرسالها إلى الخارج بالبريد».

كان لافتتاح دار الزمان سنة ٢٠٠٥ كأول دار نشر حملت على عاتقها نشر كتب عن التاريخ الكردي وأخرى في ميدان الأدب واللغة وغيرها من القضايا التي تخص الشعب الكردي لصاحبها سراج عثمان الفضل الأكبر في إخراج الكتاب من شكله النسخي (فوتوكوبي) إلى المطابع النظامية حيث كان هو الوحيد الذي يعمل بشكل مرخص ومؤسّساتي، وقد لعبت دار الزمان دوراً بارزاً على صعيد كسر حاجز الخوف من العمل على نشر الثقافة الكردية

وجعلت من مسألة وجود كتب تحمل عناوين الكرد وكردستان أمراً طبيعياً بعد أن كان من المحرمات وقد عرضت هذه الكتب في واجهات المكتبات مظهرة أهمية الثقافة والكتاب في التقريب بين الشعوب و ساهمت في إيصال الكتاب الكردي إلى العديد من الدول العربية من خلال معارض الكتب حيث لا تزال الدار مستمرة في المضيّ بمشروعها في دمشق حتى هذه اللحظة وقد نشرت في هذا العام ثلاث كتب عن الكرد و استمرت في العزف المنفرد حتى ٢٠١١ إلى أن نشأت دور و مؤسسات تطبع الكتب الكردية بحرية و دون رقابة تذكر من النظام.

أسهمت بعض المجالات الصادرة من قبل مؤسسات مدنية وإعلامية في بروز شكل جديد للطباعة يختلف عن المنشورات الحزبية السائدة والمفتقرة لشكل وإخراج مقبولين حيث صدرت صحيفة ولات WELAT في ٢٠١٢ التي وصلت الآن للإصدار ٤٥ وتتضمن محتوى باللغتين الكردية والعربية وتصدر عن مؤسسة ولات للإعلام، كما أصدرت منظمة شار للتنمية مجلة شار SAR بقسميها الكردي والعربي منذ ٢٠١٤ وصدر منها ٨ أعداد بطباعة أنيقة وإخراج متميز عن الشكل السائد في الصحافة الكردية .

ساهمت دار نشر (Dar) وهي أول دار نشر مرخصة في روج آفا (تأسست في ٢٠١٦) في طباعة نماذج جيدة من الكتب شكلاً وموضوعاً لمجموعة من الكتاب والأدباء تضمنت أبحاثاً ودراسات قيمة ومتنوعة المحاور. تجدر الإشارة أن المشاريع الثقافية التي يقوم بها أفراد أو مجموعات ولا سيما تلك المتعلقة بطباعة الكتب ونشرها تبدو ناجحة أكثر من المشاريع التابعة لجهات سياسية من حيث النوع على أقل تقدير، بينما تنجح الأخيرة في امتلاك القدرة المادية المنعكسة على الكم، ومن المشاريع أدارها مجموعة من المثقفين والمهتمين تأتي جهود مؤسسة هنار التي حملت على عاتقها طباعة الكتاب الكردي فقط بأجمل تصاميم الأغلفة والإخراج الفني وكانت لها الريادة بين دور النشر بالإعلان عن كتبها عن طريق الـ«فيديو غرافيك» فقد نشر أول فيديو تعريفى بتاريخ ١٣ نوفمبر ٢٠١٦ هو فيديو الإعلان عن كتاب «Hezkirîya Xwedê» للكاتب Aydogan «İbrahim Sedo» من ٣٥ ثانية من الصور ذات الجودة العالية مصحوبة بموسيقى فلكلورية مشوقة، وتمر على الشاشة صور الغلاف مع مقاطع من كتابات المؤلف الأمر الذي كررته «Hinar» عند الإعلان عن باقي كتبها (أو معظمها)، وتطورت إلى إصدار (أفلام قصيرة) جَرفية بطريقة الفيديو غرافيك بمدة تتجاوز ٤ دقائق تعرض نبذة عن حياة الكاتب والمترجم وأعمالهما و بجودة عالية.

هل المسوق أم فشل الكتاب وراء هزائم القراء أم العكس؟

في دراسة عن الواقع الثقافي في الجزيرة وكوباني والتي نشرتها سورمي بالاشتراك مع مجلة Rê عزى الباحثون تراجع اهتمام القراء بالكتاب المحلي إلى عدم وجود مشروع حدائي على الصعيدين الفكري والأدبي، حيث أظهرت النتائج التي أجريت على ٢٣٥ مبحوثاً بأن نسبة ٥٤,٩٪ من مجموع أفراد عينة البحث لا يقرأون للكتاب المحليين.

ففي معرض الكتاب الأول الذي قامت به هيئة الثقافة و الفن و الذي افتتح في ٢٠ تموز العام ٢٠١٧ عرضت دور النشر المحلية

و المؤسسات الثقافية و المؤسسات الرسمية معظم نتاج الكتاب المحليين، الذين رَوّج الكثير منهم لمؤلفاتهم حيث كانوا يجلسون خلف طاوولات معروضة عليها كتبهم (منهم كبار الكتاب) بانتظار من يلقي لها بالاً طوال الأيام الستة لمدة المعرض الأمر الذي لقيَ استهجاناً من الكثير من نقاد الشأن العام كون الأمر لا يراعي الذوق العام حيث اشتكى معظم المعارضين من عدم ارتياح واضح لنسب بيع الكتب باستثناء قلة قليلة.

السبب الهامّ الآخر لعدم إقبال القارئ على الكتاب المحلي هو أنه لا تُلقى متاجر الكتب التقليدية بالألّ لمُنتوج الكاتب المحلي على اختلاف جودة الكاتب ذلك لأن الكاتب المحلي لا يجد من يقرأ له باستثناء دائرة من القراء والمهتمين المحيطين به، زد على ذلك فإن سوق الكتاب يتحكم فيه الطلب فالمشكلة الجوهرية من بين المشاكل الكبرى الأخرى، كثرة الطلب على الكتب التي تنتجها مافيات التزوير بسبب لجوء القارئ إلى قراءة النتاج الفكري الغربي المترجم بالدرجة الأولى والعربي الأكثر مبيعاً بالدرجة الثانية، والتي لا تتدخل لمنعهم السلطات بحجة أنها معنية فقط بجانب الإجازة أو المنع الأمني لمحتويات الكتاب، ويختار هؤلاء القراصنة الكتب الأكثر مبيعاً من كل دور النشر العربية ويتاجرون بها بشكل فاجر يدّعون الحرص على توفير الكتاب بسعر رخيص بينما هم يدمرون صناعة النشر برداءة جودة الكتاب المقرصن وسرقة حقوق المؤلفين وهذا ما تذخر به المكتبات السورية بشكل عام و متاجر الكتب في الجزيرة بشكل خاص .

كما أنّ من يلاحظ حالة الحرب والحصار الذي نشهده والأوضاع الأمنية الخطيرة التي تشهدها العديد من البلدان المحيطة، يفهم سبب ركود (السوق) حيث أدى ذلك إلى غياب واردات الكتب العربية والكردية إلى السوق المحلية واعتماد السوق المحلية إلى نتائجها من الكتب المحلية والكتب المقرصنة.

و أيضاً تحول غالبية متاجر الكتب بالتدريج إلى مكتبات بيع القرطاسية ولوازم المدرسة وتصوير الأوراق بالطابعات المكتبية كنتيجة لعدم الجدوى الاقتصادية لبيع الكتب مقارنة بالقرطاسية وغيرها من السلع، وقد يقول البعض إن ضعف القدرة الشرائية بسبب التدني الكبير لدخل الفرد هو السبب الرئيس لعدم إقبال القارئ على شراء الكتب، لكن القارئ يمكنه أن يشتري أي شيء بأثمان باهظة، إلا عندما يتعلق الأمر بالكتاب فيبدأ النظر إلى ميزانيته، فالمراكز الثقافية والتي تقدم خدمات مجانية لقراء الكتب تعاني أيضاً من عدم إقبال القراء إليها، فقد ذكر مسؤول مركز دجلة للثقافة والفن في ديرك جوان ملا علي لمحمود عبود في مقال كتبه لمجلة ولات في عددها ٤٢ الصادر في تموز ٢٠١٧ أن حركة الاستعارة خلال أشهر (أيار -حزيران- تموز) لم تتجاوز عشرة كتب فقط.

وعليه فان للأزمة جذوراً بعيدة تتجاوز الراهن الحضاري، التلفزيون والسينما والفيديو ومحطات التلفزة الفضائية والإنترنت «القشة التي قصمت ظهر البعير» وكل هذه العوامل المعاصرة أدت إلى تراجع الكتاب، أي الانتقال من السيئ إلى الأسوأ مقارنة بالشعوب القارئة.

الغزلية رقم (١٠)

ليلة أمس مضى شيخنا من المسجد إلى الحانة
فما العمل بعد الآن يا رفاق الطريقة؟!
كيف لنا نحن المريدون أن نتجه نحو القبلة
وشيخنا يتجه نحو دار الخمار؟
سنقيمُ معاً في حانة الطريقة
فهكذا قد قُدِّر لنا منذ الأزل.
لو عرفَ العقلُ كم هو هائئُ القلبُ في قيد خصلاتها
لجئَ العُقلاءُ سعياً وراءَ قيدنا.
وجهك البهيّ كشفَ لنا آيةً من الرِّقة
ولذلك لا يقبلُ كلامنا تفسيراً سوى الرِّقة والجمال.
فهل سيؤثِّرُ في قلبك القاسي ذات ليلةٍ
آهاتنا النارية وحرقة صدورنا وقت السَّحر؟
سهامُ آهاتنا تخترقُ الأفلاك، فالزم الصمت يا حافظ
ارحم نفسك واحذر سهامنا.

الغزلية رقم (٣٧٤)

تعال لننثر الأزهار ونصبِّ الخمر في الكؤوس
ونمزِّق سقَفَ الأفلاك ونجعل لها شكلاً جديداً.
وإذا حشدَ الجنُّ جيشه لسفك دم العشاق
هجمتُ، معَ الساقِ، عليه وقوَّضنا أركانه.
لنسكبَ ماء الورد مع الخمرة الأرجوانية في الكؤوس
وننثر السكر في المبخرة ليزيدَ ضوؤُ النسيم.
وبما أُنك تحملُ معزفاً فاعزف لنا أيُّها المطربُ لحناً حلواً
كي ننشدَ الأشعار ونطوِّح برؤوسنا راقصين.
ويا نسيم الصَّبَا أوصل تراب وجودنا إلى تلك العتبة العالية
فلعلَّنا نحظى بالقاء نظرةٍ على وجه ملك الجِسان.

مختارات من قصائد حافظ الشيرازي

ترجمة من الفارسية: ماهر جمو

واحدٌ يتباهى بالعقل وآخرٌ يهذي بالأباطيل
تعال لنضع هذه الخلافات بين يديّ قاضي العالم.
إن كنتَ تريدُ جَنَّةً عدن فتعال معنا إلى الحانة يوماً
كي نوصلك من جوار الدِّنان إلى حوض الكوثر في الحال.
في شيراز لا يَأْهون بالشاعرية والغناء الجميل
هيّأ يا حافظ، تعال لننطلق إلى بلادٍ أخرى.

الغزلية رقم (٢٥٣)

يا من نصارة حقل زنابق العمر من نور مُحَيَّاك
عُد، فربيع حياتي ذُبُلٌ بدون زهرة وجهك.
اغتنم هذه اللحظاتِ القصيرة حيث في الوسع لقاءك
وأولي أمرنا قليلاً من العناية، فأمرُ العُمَر ليس بمعلوم.
حرِّيٌّ بالدَّمع أن ينهمر من العين مثل المطر
فالعمرُ انقضى كلمحة برقي حزنًا عليك.
إلى متى ستكونُ عاكفاً على مُعاقرةِ خمرة السَّحر، ونوم الفجر؟
هيّأ أفق فقد انقضت صفوةُ العُمَر.
أُمسِ مرَّ بجوارنا ولم يلتفت إلينا
مسكينٌ هو القلبُ، لم يحظَ بشيءٍ من مرور العُمَر.
لا يفكِّرُ في مُحيطِ الفناء
من كانَ مدارُ عمره حول مركز فمك.
بسرعةٍ كبيرةٍ يُخْبِئُ فارسُ العُمَر
فقطمانُ المصائبِ متربصةً في كلِّ صوب.
إني أحيا بدون عُمَرٍ فلا تتعجَّب كثيراً لذلك
فمن يحسبُ أيَّام الفراق في عداد العُمَر؟!
تكلم يا حافظ، فأثر قلمك هذا
سيبقى على صفحات العالم تذكراً للحياة.



تصوير: يروزبريك



التنمية حرّية لـ أمارتيا صن

أنظمة سياسية حرّة تنتج تنمية حقيقية

جوان تتر

تقريب وجهة نظره من خلال الإتيان بالأمثلة الحرّة من الدول أو المجتمعات التي تعيش حالة الركود الاقتصادي على خلفيّة انعدام الحريات السياسيّة مثلاً، وبلغة بعيدة عن التلغيز، وكأنّ المؤلّف قد تمّ تصنيعه كي يكون مرجعاً أساسياً لتسلّح العاملين في شأن التنمية المجتمعيّة من خلال الارتكاز على ما هو موجود ضمن الكتاب.

المفهوم الأوّل الذي ارتكز عليه الكتاب هو مفهوم الحرّية، الأخيرة بكافّة أشكالها، والتي هي الحجر الأساس في مفهوم التنمية، وبعيداً عن التعاريف الجافّة، يغوّض الكتاب في دلالات التنمية وعلاقتها بالحريّات، ولا سيّما السياسيّة منها، حيث الحرية السياسيّة ترسم الخطوط الأساسيّة في تعزيز مفهوم التنمية، ليس من الوجهة النظرية فحسب، بل ومن الناحية العمليّة، وما يضيف طابع الجدّيّة على الكتاب هو معايشة البنغالي «أمارتيا صن» لحياة الهند وصراعاتها ومشاكلها العميقة، التي -وإن بعدت المسافة الجغرافيّة- فإن مشاكلها تتطابق مع مشكلات مجتمعاتنا، وعلى رأس تلك المشاكل: الحرمان من الحريّات، الثقافات الاجتماعيّة، إضافةً إلى التمييز الاجتماعي بين الجنسين -الذي قلّ ربّما بنسب ضئيلة بعد الثورات الأخيرة والتغييرات المجتمعيّة إن جاز التعبير-، لذا ينطلق مؤلف الكتاب من مفهوم الحرّية، فمنذ الصفحات الأولى يتمّ توضيح الغاية من التركيز على الحريّات وعلاقتها بإحقاق مفهوم التنمية والتطوير: «نؤكد هنا أن التنمية يمكن النظر إليها باعتبارها عملية توسع في الحريات الحقيقيّة التي يتمتّع بها الناس، وإن التركيز على الحريات البشريّة يتناقض مع النظريات ضيقة الأفق في التنمية مثل القول بتطابق التنمية مع مجمل الناتج القومي أو مع زيادة الدخول الشخصيّة أو مع التصنيع أو مع التقدم التقني أو مع التحديث الاجتماعي، نعم يمكن بطبيعة الحال النظر إلى زيادة الناتج القومي أو زيادة دخول الأفراد باعتبارها أدوات مهمة جداً لتوسيع نطاق الحريات التي

كأول محاولة في الجمع بين التنمية والحرية، يندرج كتاب البنغالي (أمارتيا صن) المعنوّن بـ «التنمية حرّية»، ضمن إطار الكتب المميّزة في شرح السرّ الغامض والواضح في أيّ معاً فيما بين التنمية (التطوير) وفيما بين الحرّية كممارسة يوميّة، الحرّية بكافة أشكالها الموجودة، ولم يتأتّى هذا الربط إلّا بعد تجارب نظريّة وعملية حاول المؤلّف تطبيقها أو مقارنتها أو حتّى جمعها في صفحة واحدة وكلمة واحدة هي: «التنمية الاقتصاديّة» وما يعتور الأخيرة من محاولات لرفع القيود عن الحريّات (سواء حرية التعليم، والرعاية الصحيّة وحقوق التعبير ومشاركة المرأة بفعاليّة حقيقية داخل المجتمعات. إلخ) أو الحدّ منها، كلّ ذلك يأتي في سياق مرّن ومفعم بالحقائق، بعيداً عن اللغة الجافّة التي تغطّي كامل المؤلّفات التي تتناول مواضيع تنصبّ في السياق نفسه.

يتناول الكتاب في حوالي ٤٣٤ صفحة مسألة حسّاسة في المجتمعات التي تختلف فيها منظور الحرّية وفقاً للسياسات المعمول بها، ناهيك عن أهميّة الديمقراطية كمرتكز أساسي للتنمية في المجتمعات، علاوةً على أنّ المؤلّف هذا يعتبر نتاجاً لسنوات أكاديميّة وتجارب فكريّة ممتدّة على سنوات، ومن ثمّ يخطر لوهلة للقارئ غير المختصّ أهميّة الترابطات في فصول الكتاب جمعاء، الربط بين المرأة مثلاً وفعاليتها بالتغيير الاجتماعي، وكذلك السكان والغذاء والحرّية. إذن سيكون الكتاب بأكمله مبنيّ على نظرية واحدة من الممكن نعتها بنظريّة «الحرّية» التي من الممكن إن توافرت في مجتمع ما أن تكون السبب الأساسي في تطوره وعلى العكس، إن غاب تطبيق هذه النظرية -نظرية الحرّية في كل مرافق الحياة- فإن المجتمع سيقوّض بالكامل ومن جميع النواحي الحياتيّة.

الحرّية مفهوماً للتنمية:

لغنى الكتاب وتشعّب مواضيعه في الفصول الكاملة، يتوجّب على القارئ أن لا يتوجّس من المغزى الأساسي، فالمؤلّف اعتمد على

يتمتّع بها أبناء المجتمع»، إذن نقطة الانطلاق لكل تنمية ما في أيّ مجتمع أو تركيب سكانيّ مختلف يبدأ حصراً لا من الناتج القومي أو من زيادة الدخول الشخصيّة، بل ينطلق من الحرّية فقط كمصدر أساسي للتنمية المجتمعيّة، المفهوم الأخير الذي سبق وأن تمّ معالجته في أماكن ونظريات أخرى مختلفة، لكن أمارتيا يقارب الموضوع من خلال تجربته الشخصيّة كأكاديمي يرى بعينه ما يحصل من تخلف على إثر قمع الحريّات وتقييدها، كما يشير في مكان آخر من الكتاب بالقول: «تستلزم التنمية إزالة جميع المصادر الرئيسيّة لافتقار الحريات، الفقر والطغيان، وشخّ الفرص الاقتصاديّة، وكذا الحرمان الاجتماعي المنظم، وإهمال المرافق والتسهيلات العامّة وكذا عدم التسامح أو الغلو في حالات القمع». أمور تبدو لوهلة ما بسيطة للقارئ، ولكن لمجرد التعمّق، سنرى العلائق الوشيكة فيما بين مفردة الحرية كممارسة فعلية دون قيود وبين التنمية كمفهوم مجتمعيّ يستند إلى فكرة ومفهوم الحرّية ذاتها. وعلى الرغم من إشكالية الفكرة التي تعتبر كابوساً بالنسبة للأنظمة المستبدّة والتي تلوح بعصا منع الحريّات والاستيلاء على كل المرافق والبنى الاقتصاديّة لصالح سياسة معيّنة تملك ربّما الهيمنة والسطوة داخل مجتمع بعينه، إلّا أن المؤلّف ينجح في القبض على الفكرة الحقيقيّة والجوهر الكامن في مفهوم التنمية ككلّ. والتي تؤهّل الكتاب لأن يكون مرجعاً سياسياً اقتصادياً، واجتماعياً حتى، بلا مغالاة!.

التدرّج في الأطروحات والتساؤلات:

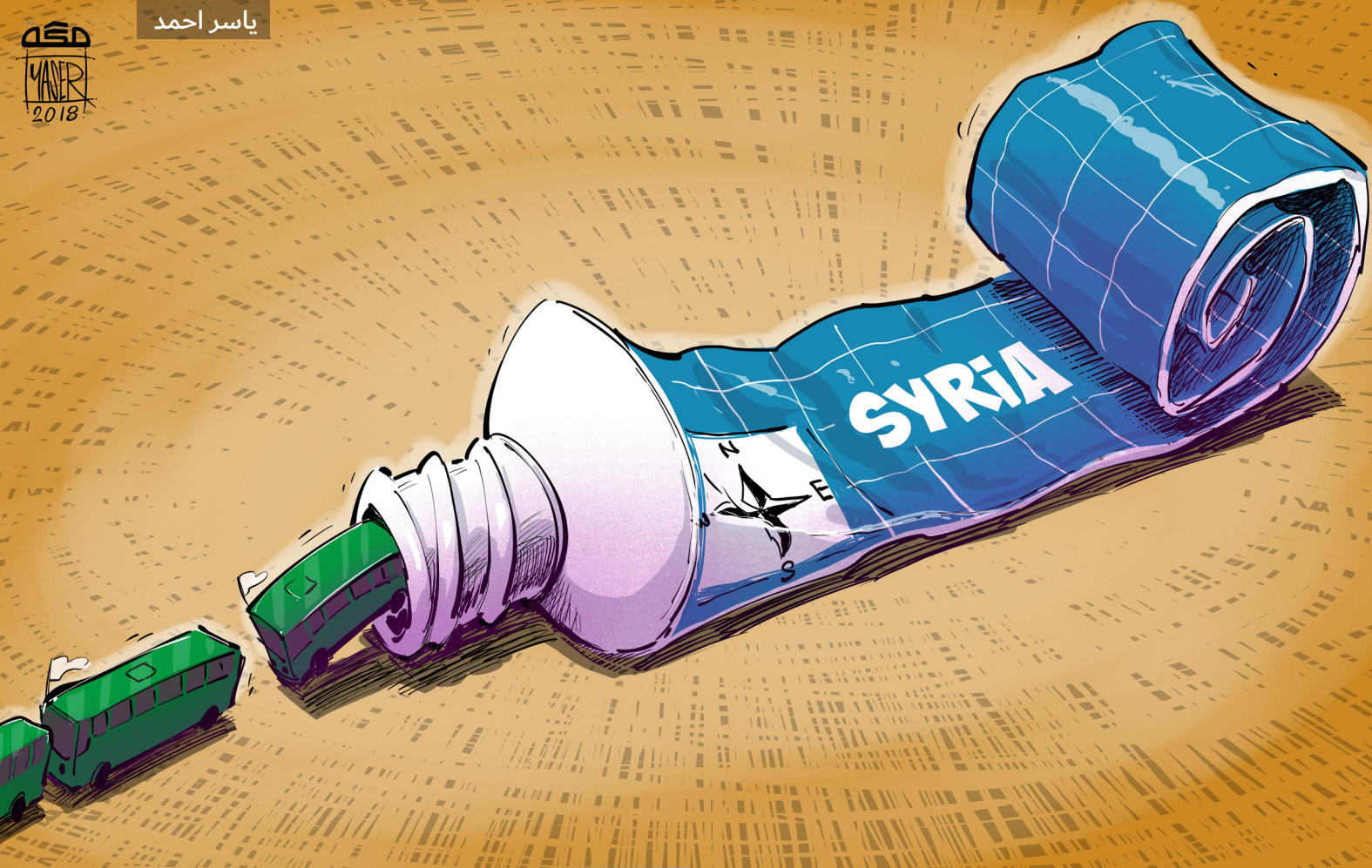
يبدو الكتاب منطلقاً من صياغة التدرّج، وليس الكتلة الواحدة الصلبة العصيّة على الفهم، أعني أنّ المشكلة الموجودة والمطروحة داخل الكتاب، تناسب وفق شكل غير معقّد، فانطلاقاً من التساؤل المشروع ضمن الكتاب: هل أنظمة الحكم الاستبداديّة بإمكانها أن تكون مثمرة على العكس من الأنظمة التي تستعمل

الديمقراطية، والعلاقة الكامنة فيما بين التنمية والحريّات السياسيّة، بشكلٍ منتظم تجري فصول الكتاب نحو تقديم فكرة مرنة يُستفاد منها على مرّ العصور، ومن بين أهمّ تلك الأطروحات داخل الكتاب، أطروحة أن تكون المرأة ذات فعالية، ومدى علاقة هذا الموضوع بمفهوم التنمية داخل المجتمع، ولكن في الوقت عينه أن تملك شيئاً ما من الرفاهية، الأخيرة المبنيّة في بعض المجتمعات على الفروقات الجنسانيّة، كالرعاية الصحيّة التي يتّخذها أمارتيا صن مثلاً واضحاً على درجة التخلف أو لعلّه الاستبداد -إن جاز التعبير- لدى بعض المجتمعات فيقول: «إن مظاهر الحرمان النسبية في رفاه المرأة كانت ولا تزال حاضرة يقيناً في العالم الذي نعيش فيه، وواضحة الأهميّة بالنسبة للعدالة الاجتماعيّة بما في ذلك العدالة للمرأة، مثال ذلك هناك شواهد كثيرة تطابق النقيض البيولوجي (المتوالد اجتماعياً) لزيادة الوفيات من الإناث في آسيا وشمال أفريقيا والأعداد المهولة من «الفاقد النسائي» والفاقد هنا بمعنى المفقود أو من هو في عداد الموتي نتيجة الانحياز الجنوسي أو التمييز بين الجنسين في توزيع الرعاية الصحيّة وغيرها من ضروريات الحياة»، ينتقل بعدها إلى مفاهيم تعتبر استثنائيّة النقاش من خلال المقاربة، كالاستحقاق بالنسبة للمرأة وترتيبات المشاركة والاقتسام داخل الأسرة، المحدّدات الرئيسة لهذه الإشكالية التي لها تأثيرها على مفهوم التنمية، ولعلّ من التدرّجات التي تعطي طابع الحقيقيّة والواقعية داخل الكتاب أيضاً مثلاً قول المؤلّف أن لا مجاعة ضربت دولة ما اعتمدت على انتخابات سياسيّة منتظمة!، إذن الحرّية السياسيّة أو أهميّة الأداء السياسيّ الحرّ دون ضوابط قمعيّة إضافةً إلى باقي أشكال الحريات هي الفصيل في موضوع ومعضلة التنمية، هذه العلاقات التي يقاربها الكتاب تكون أهميّة إدراك العلاقة القائمة فيما بين الحريّات والتنمية.



حماية المدنيين وقضية التهجير القسري في القانون الدولي

روجين حبو



أعين المجتمع الدولي.

تعددت الانتهاكات بكافة المناطق السورية، وكان آخرها ما شهدته منطقتا عفرين و الغوطة الشرقية، دون تدخل واضح من المجتمع الدولي، وإن كان هناك تدخل بسيط وطرح لقضية الغوطة في ظل غياب كلي لقضية عفرين في كافة المحافل الدولية. فمن أبرز سمات هذه المرحلة من الحرب السورية هو التغيير الديمغرافي واقتلاع السكان الأصليين من مناطقهم وتوطين مكونات أخرى مكانهم. كما يحدث الآن من توطين لأهل الغوطة المهجرين من مناطقهم في عفرين وريفها.

فقد تعرضت عفرين في ٢١-٢٠١٨ للهجوم التركي بالتشارك مع فصائل مسلحة تابعة للمعارضة السورية المدعومة تركياً. تعرض الشعب الكردي في عفرين، منذ بدء الهجوم وحتى احتلال المدينة، لمختلف أشكال الظلم والقتل والتهجير القسري بحق المقاتلين والمدنيين دون تفريق بينهم، رغم ما يشتمل عليه القانون الدولي من حماية للمدنيين وممتلكاتهم. فحجة حماية الأمن القومي التركي من الإرهاب حجة واهية مع ما يتم تنفيذه من مخططات التغيير الديمغرافي لمنطقة كانت آمنة و اعتبرت ملاذاً آمناً لمئات آلاف السوريين الفارين من الحرب والقتال.

فحتى تُعتبر الجريمةُ جريمةً ضد الإنسانية، لا بد أن تكون ممنهجة و واسعة النطاق، أي على درجة واسعة من الخطورة بحيث تكون موضع اهتمام دولي. وبذلك لا تعتبر الأعمال المعزولة أو المتفرقة ضد المدنيين والممتلكات جرائم ضد الإنسانية. وهذا يمكننا اعتبار ما حدث في عفرين جريمة ضد الإنسانية بأكمل أركانها، ومع ذلك لم يكن هناك أي رد فعل دولي أو حتى قرار بمنع أو إدانة ما يحدث. الأمر الذي يدفع للتساؤل عن مدى فاعلية القانون الدولي الإنساني واستجابته للحالات الإنسانية للمناطق المتعرضة للعدوان.

من القانون الدولي الإنساني العرفي.

ويسرّ حصول التهجير بأنه نتيجة نزاعات داخلية مسلحة أو صراعات ذات طابع ديني أو عرقي أو مذهبي أو عشائري. ويتم بإرادة أحد أطراف النزاع عندما يمتلك القوة اللازمة لإزاحة الأطراف التي تنتمي لمكونات أخرى. وهذا الطرف يرى أن مصالحته الآنية أو المستقبلية تكمن في تهجير الطرف الآخر، ويحصل التهجير في حالة وجود طرف يهدد مجموعة سكانية مختلفة بالانتماء الديني أو المذهبي أو العرقي بضرورة عدم البقاء في مدينة أو منطقة أو بلد ما.

إن عملية التهجير القسري وعمليات الإبادة الجماعية يتطابق مع ما نصت عليه المادة الثانية من اتفاقية الأمم المتحدة «اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية» التي أقرتها الأمم المتحدة في ٩ كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٤٨ وأصبحت سارية المفعول في ١٢ كانون الثاني/يناير عام ١٩٥١، والتي تُعتبر الأفعال التالية المرتكبة بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية بمثابة إبادة جماعية:

أ - قتل أعضاء من الجماعة.

ب - إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة.

ج - إخضاع الجماعة عمداً، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً.

د - فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.

هـ - نقل أطفال من الجماعة عنوة، إلى جماعة أخرى.

التهجير القسري في سوريا

تشهد سوريا منذ ٨ أعوام حرباً لم يسلم سوري واحد من آثارها الكارثية. إذ شهدت سوريا كافة أشكال العنف والانتهاكات بحق المدنيين، وأمام

على الدول المتنازعة مجموعة واجبات تجاههم دون التطرق لحماية المدنيين أو تنظيمهم، ابتداءً من اتفاقيات جنيف الأولى وحتى الثالثة، رغم أن السكان المدنيين هم أكثر المتضررين من الحروب وويلاتها، الأمر الذي دفع المجتمع الدولي للعمل بشكل جدي لإقرار قواعد قانونية لحماية المدنيين، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية التي شهدت أكثر من ٦٠ مليون قتيل، أكثرهم من المدنيين، إضافة للجرائم التي ارتكبت بحق المدنيين، من نزوح وتهجير قسري وتدمير للممتلكات. ولم يكن هناك نص قانوني يحميهم، باستثناء المادة (٦٥) من لائحة «لاهاي» التي تنظم العلاقة ما بين المحتل وسكان الأراضي المحتلة.

وتعرّف اتفاقيات جنيف الأربع، المؤرخة في ١٢ أغسطس/آب ١٩٤٩، والبروتوكولات الملحقان بها لعام ١٩٧٧، جرائم الحرب بأنها الانتهاكات الجسيمة للقواعد الموضوعية إذا تعلق الأمر بالتهجير القسري. فالمادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ حظرت النقل القسري الجماعي أو الفردي للأشخاص أو نفهم من مناطق سكنناهم إلى أراضي أخرى، إلا إذا كان هذا في صالحهم، بهدف تجنيبهم مخاطر النزاعات المسلحة.

كما أن المادة (٧-١-د) من نظام روما الإنساني للمحكمة الجنائية الدولية، تجرم عمليات الترحيل أو النقل القسري، حيث تنص على أنّ «إبعاد السكان أو النقل القسري للسكان، متى ارتكب في إطار هجوم واسع النطاق أو منهجي موجّه ضد أية مجموعة من السكان المدنيين، يشكل جريمة ضد الإنسانية». وبموجب المواد (٦ و٧ و٨) من نظام روما الأساسي، فإن «الإبعاد أو النقل غير المشروعين» يشكلان جريمة حرب. و تُعتبر المادة المتعلقة بحظر نقل السكان من مناطقهم جزءاً

عادةً ما ترافق حالات الصراع والحروب العديد من الانتهاكات والتي يندرج البعض منها تحت مسمى «جرائم ضد الإنسانية». وبما أن الإنسان هو العنصر الذي تُسنّ القوانين لأجل صون حياته وكرامته، كان لا بد من العمل على حمايته تحت أي ظرف، وذلك من خلال معالم الحياة الأساسية، من حقوق في العيش الكريم والإحساس بالأمان. من تلك الانتهاكات، التهجير القسري، والذي يُعرّف أنه «ممارسة تنفيذها حكومات أو قوى شبه عسكرية أو مجموعات متعصبة تجاه مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية بهدف إخلاء أراضي معينة وإحلال مجاميع سكانية أخرى بدلاً عنها.

ويعرّف القانون الدولي الإنساني التهجير القسري بأنه «الإخلاء القسري وغير القانوني لمجموعة من الأفراد والسكان من الأرض التي يقيمون عليها». وتُعتبر المواد (٦)، (٧)، (٨) من نظام روما الأساسي، التهجير القسري جريمة حرب.

كيف نظر القانون الدولي الى النزاعات المسلحة وبشكل خاص التهجير ؟

القانون الدولي الإنساني هو مجموعة القواعد المستمدة من الاتفاقيات و الأعراف الدولية الرامية بصفة خاصة إلى حل المشكلات الإنسانية الناشئة بصورة مباشرة من النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية، والتي تقيّد، و لأسباب إنسانية، حق أطراف النزاع في استخدام طرق وأساليب الحرب التي تروق لهم أو تحمي الأعيان أو الأشخاص للذين تضرروا - أو قد يتضررون - بسبب النزاعات المسلحة.

اهتم القانون الدولي الإنساني بحماية فئة المقاتلين (المحاربين)، وفرض

شيرزاد يقاوم المرض بالابتسامة و روح الفكاهة

عدنان حسن

المرضى الذين كانوا يتلقون العلاج في نفس المشفى. يذكر والده أن بعد كل جلسة تخدير كان ينزل من السرير ويقول: «يا خودي سأذهب إلى الحسكة».

ما زال شيرزاد يواظب على تلقي العلاج والالتزام بتعليمات الأطباء، يهتم بوالديه وزوجته، يحرص على التواصل مع جميع الناشطين و موظفي المنظمات الدولية لتأمين الدعم ولتستمر منظمة أشنا الشبابية في العمل و خدمة الفئة الشبابية في مدينة الحسكة.

لا تفارقه الابتسامة، نشيط، يمنح كل الناس الودّ والألفة فهو لا يعترف بالحواجز بين البشر وليس في قاموسه أناس غرباء، انخرط مثل العديد من أصدقائه في العمل كمواطن صحفي مع وسائل إعلام محلية، ثم توجه للمشاركة في أنشطة مدنية عديدة كانت تقام في مدينته الحسكة وله حضور مميز في أغلب ورشات العمل التي أقامتها المنظمات المحلية. محبوب من الجميع ولديه مئات الأصدقاء والمعارف ليس في الحسكة وحدها بل في كل مدن الجزيرة و بلداتها .

بمجهوده هو وعدد من رفاقه استطاعوا الإعلان عن تأسيس منظمة مجتمع مدني وجذبوا من خلالها عدداً من الشباب والشابات الطامحين لخدمة مجتمعهم وتنمية قدراتهم، هو شيرزاد سيدو الشاب المحبّ لأسرته وأصدقائه والمدير التنفيذي لمنظمة أشنا الشبابية في الحسكة التي نفذت العديد من الأنشطة التطوعية كما نفذت بالشراكة مع منظمة شار للتنمية الجزء المخصص لمدينة الحسكة من مشروع متشاركون الذي يقوم على تعليم الفتيات صيانة الحاسوب والموبايل. وتنفذ أشنا الآن مشروعاً آخر لتدريب الشباب والنساء على مهارات الحياة وسبل العيش.

لم يغب شيرزاد عن عمله طيلة فترة مشروع التدريب الذي استمر أربعة أشهر، وأظهر من خلاله شغفه بالعمل المدني وما اكتسبه من خبرة في حضوره لمختلف التدريبات وورش العمل، زاد من دافعه للعمل فبادر إلى توسعة مقر منظمته من المردود الذي كان يتلقاه .

اكتشف شيرزاد أن لديه كتلة خبيثة في الكولون فبات يخضع لجرعات مكثفة ومتتالية من العلاج الكيماوي والشعاعي والجراحي ورغم أن الأطباء أعلموه أن الكتلة من الدرجة الثالثة واضطره ذلك للبقاء خمسة أشهر في دمشق تلقى في تلك الفترة مئات الاتصالات من أصدقائه ومحبيه من مختلف مدن وبلدات المنطقة، حتى أن أشخاصاً لم يكونوا يعرفونه بشكل مباشر بادروا للاتصال معه لأنهم سمعوا عن طبيته و حضوره المميز .

استطاع أن يتجاوز وضعه الصحي الحرج بالابتسامة و الروح الفكاهية و التواصل مع الأصدقاء حتى أن الأطباء كانوا يستغربون من رفع شيرزاد لمعنويات

خطوات التأقلم مع المحيط للأطفال ضحايا ما بعد الصدمة جيان حج يوسف

تزداد في الحروب الحاجة لدعم ضحايا الحرب، خاصة الأطفال منهم، كون هذه الفئة العمرية هي الأكثر هشاشة مقارنة مع الفئات العمرية الأخرى إذ ينبغي منحهم المزيد من الرعاية، وتوفير التوجيه لمقدمي الرعاية من قبل مختصين ليحظوا بمعاملة أفضل ولا سيما في ظل الحالات الطارئة .

يتطلب معظم الأطفال الدعم النفسي الاجتماعي مصحوباً بالدعم الذي تقدمه الأسرة الداعم الرئيسي (الأولي)، ففي ظل ظروف الحروب والأزمات يعاني الأطفال وأسرهم والمجتمع من ضغوطات تنعكس على حالتهم النفسية والاجتماعية نكون حينها أمام حالات (الصدمة ما بعد الحرب)، والتي تختلف تأثيراتها على الأفراد (وجوانهم النفسانية) وعلى المجتمع بشكل عام، ويبقى أثرها الأعمق على الأطفال فتؤدي الصدمة الى قلة الدافعية والفاعلية، وبالتالي تراجع إدائهم على جميع النواحي (التحصيلية المعرفية – الاجتماعية – النفسية) .

تقع مسؤولية كبيرة على عاتق المتطوعين والمختصين لتقديم المساعدة لذوي الأطفال وتوعيتهم بمخاطر الصدمات على شخصيات أبنائهم، التي قد لا تظهر مباشرة على المدى القريب ولكنها قد تطفو بعد فترة من الزمن .

لذلك على الأهل ملاحظة سوك أطفالهم كبداية لتقديم الدعم فالتعرف المبكر على السلوك غير السوي او المضطرب كبداية لمساعدتهم واستشارة المختصين في مجال الدعم النفسي الاجتماعي وإتاحة الفرصة أمام الطفل للتحدث عن مشاكله واحتياجاته للتخفيف من معاناته.

ينبغي عدم ترك الطفل وحيدا و منطويا على ذاته بل يجب تشجيعه على ممارسة هوايات مفيدة يستطيع التعبير من خلالها على مشاعره، و ما يكتمه في داخله كالرسم أو وصف ما حدث من خلال أدوار يقوم بها أثناء اللعب، كذلك يجب خلق الثقة لدى الأهل (مقدمي الرعاية) بأن الطفل قادر على يتجاوز محنته بالتعاون مع الراشدين.

تصوير:جيان حج يوسف

يحتاج الأطفال إلى فعاليات ونشاطات للتنفيس عن طاقاتهم لتشعرهم بأنهم قادرون على الحكم وقيادة أنفسهم والسيطرة على محيطهم، وأحياناً يفضل أن تترك الطفل يعبر عن مشاعر الغضب دون أن يحس أنه يقترب ذنباً يستدعي الخجل أو الندم، ويمكن بعدها التحدث معه حول سبب هذا الغضب.

على مقدمي الرعاية من المختصين والأهل أن يحثوا الطفل المنزوي والرافض لمشاركة الآخرين (أقاربهم) في نشاطاتهم،

ومن المفيد اتباع أساليب مشوقة كسرد قصص وحكايات عن حيوانات خجولة تسترجع ثقتها بنفسها تدريجياً، بحيث يبدي الجميع سرورهم وفرحتهم لنجاحه، وأن يطلب منه القيام بتمثيل دور شخصية خرافية تكون منطوية على نفسها، وخائفة في البداية ومن ثم تتحول إلى شخصية جريئة وشجاعة ومشاركة.

يلعب تماسك الأسرة مع بعضها في الأزمة الدور الأكبر في خلق الدافعية لدى الطفل لخوض التجارب الطارئة والصعبة،

ودفعه للمشاركة بأنشطة مختلفة لعزل الأسرة عن الأزمات الخارجية وخلق مساحة آمنة، وتوفير جو من الأمان والتدابير المساعدة بعيداً عن أماكن الخطر.

وفي حالات تعرض الطفل لإصابة أو فقدان أحد أعضاء جسمه ينصح بالتدخل من قبل مختصين من المجتمع المحلي كمؤسسات مختصة لتقديم الدعم النفسي الاجتماعي لجعل الطفل يتقبل الإصابة ويتعايش معها ويتأقلم مع البدائل الواقعية، وبذلك يمنح الوسائل المساعدة على أداء احتياجاته ومهامه اليومية بشكل مستقل فيشعر باستقلاليته.

غالباً ما تسوء حالة الطفل النفسية في ظل ظروف الحرب إذ أنه يعامل الطفل كفرد عادي بينما يحتاج إلى التعامل معه بشكل خاص وباهتمام أكبر من أقرانه، لأنه في أمس الحاجة للشعور بالأمان والاستقرار.

الهجرة، صراع مع الذات

شفان إبراهيم

صراع نفسي قبل اتخاذ القرار

يعيش المهاجر صراعاً نفسياً قاسٍ لاتخاذ قراره. تتفاوت حدّة الصراع والقوى الدافعة للهجرة تبعاً لظروف كل شخص. ويتحدد الإطار العام لفكرة الهجرة ضمن السعي نحو حياة أفضل في محاولة للخلاص من واقع سيء لا يستطيع التأقلم معه.

بروين هيفو /٢٧/ عاما، تقول: «هاجر أخي إلى إقليم كردستان العراق هرباً من التجنيد الإجباري. تزوّج هناك، والتحق بأخي الآخر المقيم في أنقرة. اتخذت قرار الهجرة معهم بعد صراع طويل مع نفسي». لم تتحمل بروين فراق والدّيهما ولم تعجها حياة الغرب، في تركيا. «تخيلت واقع الحياة في ألمانيا، لم أكن أستطيع النوم، قررت العودة إلى بيتي في قامشلو وألغيت فكرة السفر». واقع الحال أساء إلى أحلامها. بعد تعرّض ابن أخيها لمحاولة خطف فاشلة في قامشلو، والذي على إثره اضطر للخروج والاستقرار في أوكرانيا، حيث أنجبت زوجته مولودها الثاني.

قرّر جفان إبراهيم /٣٩/ عاما، الهجرة بعد معاناة مع واقع أطفاله الصغار، يقول: «أشاهد ابني البكر (سوند) يعود من مدرسته وكأنه لم يذهب، لا تعليم ولا استقرار». لم يوافق ذووه على هجرته في بداية الأمر. لكن تكرار حالات السطو والخطف دفعهم للقبول «أعيش حتى هذه الدقيقة اللحظات التي غادرت بها منزلي في حيّ الأشورية، دموع والدي لم تفارقي ولا تزال تسبب لي ذكريات مؤلمة. أعيش هاجساً نفسياً مزدوجاً بين التفكير بالوالدي وأخوتي، وبين مستقبل أبنائي؛ أعتقد إننا خسرنا أرواحنا».

لماذا الهجرة. وما هي آثارها؟

للهجرة أسباب عدة، منها البحث عن الرفاهية المتخيلة أو بسبب الحرب والكوارث الطبيعية، والصراعات السياسية الأهلية. ولكن بدرجات متفاوتة بحسب العوامل التي دفعت إليها قرار الهجرة لدى كل فرد. وفي جميع الأحوال يرافق القرار جملة من مشاعر الخوف والقلق من المستقبل والتردد وفقدان الأمل في تحسّن الأحوال فتصبح الهجرة أفضل الخيارات.

هاجر رامان، شقيق بروين، إلى لبنان بعد تخرجه من كلية الهندسة المدنية، رافضاً الالتحاق بأي قوة عسكرية «بيتنا فارغ، لا شباب فيه. إخوتي الأربعة هاجروا وتشّتت عائلتنا، لا تزال والدتي تنادي على رامان لتجلب له بعض الحاجيات قبل أن تتذكر أنه خرج ولن يعود باكراً». تتجه عائلة بروين للحاق بباقي أفراد أسرهما، وتعتقد إن للهجرة فوائدها الإيجابية أيضاً «يكفيها إنهم سعداء وليسوا بحاجة

إنهم بعيدون عن ساحات الموت».

من جهته يرى جفان إن الهجرة بحد ذاتها سلبية من كافة النواحي، على المهاجر وذويه، إذ يشعر المرء بمرور السنين بسرعة وبالمجان، دون أي مقابل أو فائدة «الهجرة تجعلك تخسر حياتك، شبابك، وطنك، وجميع الأشياء الجميلة، كذلك الذكريات التي جمعتك مع أصدقائك. تفقد عائلتك وتترك جميع الأمور والأحلام وخطط الحياة خلفك، الهجرة هي معوّل إنهاء الحياة». يشعر جفان إن كل عام يمضي يوازي مرور خمسة أعوام من حياته. ويقول حين نقرر العودة بعد تأمين مستقبل أبنائنا نكون دون فائدة، متسائلاً «ماذا سيستفيد منا الوطن ونحن على عتبة الخمسين؟».

من إيجابيات الهجرة، حسب جفان، أن تجد أبنائك يتعلمون دون خوف، يمارسون أنشطتهم وهواياتهم التي حرموا منها في وطنهم، وإن النتائج ستظهر مستقبلاً بعد إتمام الأبناء تعليمهم الجامعي. يقول «أغلب وقتي أقضيه مع عائلتي، جميع زياراتي تكون برفقتهم، ما يجعلني أرتبط أكثر بهم. بعكس نمطية الحياة في الداخل، حيث أغلب المشاوير والزيارات لم نكن سوية».

و يرى د. هجار حسن /٤١/ عاما، أن الهجرة ليست جديدة، خاصة مع توجه قسم من العوائل إلى دمشق والداخل السوري بغية العمل. لكنها في واقع الحال ليست سوى تسونامي يضرب جذور الانتماء في المنطقة، وهي سلبية بالمطلق وتخلق هشاشة لصلة الرحم وتبخس الشعب قوتهم، وتضعف من تواجدهم القومي على أرضهم التاريخية. أما إيجابيات الهجرة فتتخصر بحسب هجار «بالتحصيل العلمي وتوفير ملاذ آمن للفارين من جحيم الحروب والملاحقات الأمنية وإمكانية تمويل الأفراد الباقين في وطنهم».



تصوير: يروزريرك

المهاجر ساعد في تنمية اقتصاد منطقة الجزيرة

تعتبر الحوالات المالية التي يتم تحويلها من الدول الأوروبية إلى مدن وبلدات منطقة الجزيرة عاملاً مساعداً لتحسين مستوى المعيشة. إذ غالبية الأسر تعتمد في معيشتها على ما يتم تحويله من أموال، من الخارج.

الاقتصادي حسن طاهر، يقول: «يجب علينا التفرقة بين المهاجر الحاصل على إذن عمل وإقامة نظامية، ومن ثم حصل على وظيفة أو عمل خاص، هؤلاء يمكن لهم أن يرفدوا الاقتصاد المحلي وخاصة تمويل أسرهم. وبين اللاجئين الذي يعتمد على معونة الدولة، فهي لا تكاد

تكفي احتياجاتهم اليومية، وهؤلاء ليسوا سوى عبأ حتى على الدولة المضيفة». ويضيف حسن قانلاً: «المنطقة خسرت أبرز رجال الأعمال مع رؤوس أموالهم، الذين فضلوا دفع قسم كبير من مدخراتهم لشبكات التهريب على البقاء في مناطق لا يجدون فيها أي مستقبل».

المهاجر في مواجهة الاندماج

من المعروف أن الأساليب المتبعة للوصول إلى الموطن الجديد لها تأثيراتها، من ناحية التكيف، الاندماج والبنية النفسية، على المهاجر، سيما الهجرة عبر شبكات «مافيات التهريب». إذ حتى الناجون من حوادث «بلمات الموت» لا يزالون يتحدثون بمرارة عن معاناتهم النفسية والشخصية بعد نجاتهم من الموت.

من شأن تلك الآثار، أنها تخلق لدى المرء صورة مثالية، لموطنه الجديد، دون أن يتخيّلوا أو يدركوا مدى الصعوبات التي سيواجهونها، في أدق التفاصيل الحياتية.

يعتقد هنر جنيدي /٣٨/ عاما، مقيم في السويد، إن المهاجر يخسر كل شيء دفعة واحدة «أن تبدأ حياتك من الصفر في دول المهجر، هي أبرز النقاط المكلفة، خاصة لكبار السن، حيث صعوبة الاندماج، ما يتطلب مزيداً من الجهود الإضافية، وفي النهاية قد لا يحصل الاندماج المطلوب». يفقد هنر شعوره وإحساسه بالاستقرار والاطمئنان «أنا مضطر للتنازل والمساومة عن قسم من قيمي ومبادئ تماشياً مع المجتمع الجديد».

كما يرى هنر أن المعاناة مع الهجرة الغير شرعية تبدأ من لحظة اتخاذ القرار «بالمغامرة وركوب الموت والمقامرة بروحك لدى تجار البشر، الذين لا تعنيهم إلا المكاسب المادية. ولا يملكون في هذه التجارة إلا روحك وروح أطفالك للتجارة بها».

الرصاص العشوائي وضحاياه هم متجدد يقلق المواطنين

سولنار محمد

أصدرت قوات سوريا الديمقراطية في ٢٧ سبتمبر الفائت، قراراً يقضي بمنع المظاهر العسكرية في المدن، وتضمن القرار فقراتٍ تشير إلى منع استخدام السلطة العسكرية في الحياة المدنية، وبدا أن ذلك يحاكي همّاً عاماً، ولكن من حين لآخر تصطدم الحياة المدنية بتصرفات غير مسؤولة نتيجة امتداد العسكرة إلى المجتمع دون أن تؤخذ مثل هذه القضايا حقها في التحقيق والمحاسبة.

هذا الامتداد في الحياة المدنية يأخذ شكلاً مختلفاً من خلال الاستخدام الغير المنضبط للسلاح لدى البعض للتعبير عن الفرح في المناسبات الخاصة مثل الأعراس والنجاح وغير ذلك بإطلاق الأعيرة النارية في الهواء الطلق ولكن البعض منها قد تأخذ مساراً مغايراً فتصيب شاباً أو طفلاً أو عجوزاً..

“الطفلة هلز آخر ضحايا الرصاص العشوائي”

إحدى تلك الطلقات أصابت قبل أيام الطفلة هلز خليل مرعان، رصاصة استقرت في جمجمتها وأودعتها غرفة العناية المشددة أمام

عجز الكادر الطبي عن إدراك طريق العودة للرصاصة الطائشة.

يقول “خليل مرعان” وهو والد الطفلة في حديث خاص لـ “شار” إنهم لم يسمعو صوت الطلقة ولكنهم فقط تفاجئوا بصراخ الطفلة أمام منزلهم الكائن في حي الكورنيش بمدينة قامشلو.

وأضاف مرعان انه أسعف ابنته إلى مشفى “فرمان” الخاص في مدينة قامشلو لكن إدارة المشفى لم تستقبل الحالة لعدم وجود جهاز طبقي محوري لديهم، الأمر الذي دعاهم لنقلها إلى المشفى الوطني بالمدينة، حيث استقر وضعها الصحي ولكن الأطباء عاجزون عن إخراج الطلقة من رأسها.

ولا يتهم مرعان أحداً إذ يعتقد بأن الرصاصة طائشة ولم يقصد المذنب ارتكاب جريمة لكنه أكد عزمه محاسبة المسؤول عن طريق القضاء فيما لو عُرفت هويته.

وطالب “مرعان” في ختام حديثه لـ “شار” الإدارة الذاتية والجهات المعنية بوضع حد لظاهرة فوضى السلاح والرصاص العشوائي في

المدينة.

الطفلة هلز لم تكن الضحية الوحيدة لظاهرة فوضى السلاح فقد سبقها وفاة الإعلامي عبد الرحيم أوسي في ١٣ أيلول الفائت متأثراً بإصابته بطلقة طائشة في مدينة الحسكة.

“حملة الكترونية للحد من ظاهرة الرصاص العشوائي”

إصابة الطفلة هلز كانت محرضاً لمجموعة من الناشطين للضغط على السلطة القائمة باتخاذ إجراءات مشددة لمنع الظاهرة واتخاذ إجراءات بحق مطلقي العيارات النارية في المناسبات.

وأطلقت الإعلامية أفين شيخموس حملة على مواقع التواصل الاجتماعي بعنوان “ طيش رصاصاتكم يقتلنا”، سرعان ما تعاطف معها عدد كبير من الإعلاميين ونشطاء المجتمع المدني داعين لوضع حد لفوضى السلاح والضغط على الجهات المسؤولة للتعامل بصرامة مع مطلقي الأعيرة النارية بشكل عشوائي.

شيخموس قالت لـ “شار” إنها أطلقت الحملة بتاريخ السادس من الشهر الجاري، بهدف الحد من انتشار فوضى السلاح بعد ارتفاع ضحايا الرصاص العشوائي.

وأشارت “شيخموس” أن فكرة الحملة جاءت منذ حوادث سابقة إلا أن الطفلة “هلز” آخر ضحية هي التي دفعتها إلى إطلاق الحملة دون تردد التي لاقت تفاعلاً من قبل رواد مواقع التواصل الاجتماعي.

وأضافت “شيخموس” إن الحملة تستهدف كافة شرائح المجتمع بمن فيهم الجهات الأمنية من مطلقي الرصاص في المناسبات وغيرها داعية إياهم الكف عن إطلاق الرصاص العشوائي وسلك سبل حضارية في التعبير عن الفرح.

وطالبت مقتني السلاح بتحمل مسؤوليتهم حيال طرق استخدامه، كما طالبت الجهات المعنية التعامل أكثر صرامة مع أولئك الأشخاص وعن سبل الحد من انتشار هذه الظاهر دعت شيخموس منظمات المجتمع المدني والمنظمات الحقوقية إلى إطلاق حملات توعوية لوقف انتشار الظاهرة مضيعة أنهم نظموا اعتصاماً بهذا الخصوص.

“الأهالي قلقون من تفاقم ظاهرة فوضى السلاح”

الأهالي من جبهتهم عبروا عن قلقهم من تفاقم هذه الظاهرة ومخاطرها ما لم يتم وضع حل لها ومعاقبة الفاعلين مطالبين الجهات المختصة بملاحقة هؤلاء والضرب بيد من حديد لحفظ سلامة الأبرياء.

تري السيدة جلييلة عيسى من أهالي مدينة قامشلو أن ظاهرة فوضى السلاح منتشرة بكثرة ولم تعد تحتل.

وأردفت عيسى أن العسكري والمدني الصغير والكبير يحملون السلاح في كل مكان ولا يتوانون عن إطلاق الرصاص في أي مناسبة كانت متسائلة “أليست هذه فوضى السلاح؟”.

وطالبت عيسى الجهات المعنية بمحاسبة المسؤولين عن هذه الفوضى سواء كانوا عسكريين أو مدنيين ففي النهاية الأرواح التي

تزهق هي للأبرياء.

يقول أحمد حسين من مدينة ديرك أن هذه الظاهرة كانت موجودة في الماضي ولاسيما في الاحتفالات ولكنها عادت للظهور مؤخراً بشكل جنوني وجمهور وتسببت بالعديد من الإصابات وعلى الجهات المعنية وضع حد لهذه التصرفات الهمجية وتجريم الفاعل وتغريمه.

من جانبه لم يستغرب الناشط المدني دلشاد عبدو انتشار السلاح و مايرافقه من إطلاق الرصاص الطائش في ظل ماتمر به سوريا عموماً والمنطقة خصوصاً.

ويرى “عبدو” أن مهمة مواجهة هذه الظاهرة لا تقتصر فقط على السلطة بل هي واجب على كل شخص بالطرق والوسائل الممكنة والمشروعة وضرورة إعلام قوات الأمن الداخلي عن كل حالة تحدث سواء أكان مدنياً أو عسكرياً، حرصاً على حياة أطفالهم.

وطالب عبدو “الإدارة الذاتية” تفعيل قوانينها وتعاميمها التي أصدرتها بهذا الخصوص، وتطبيق أشد العقوبات بحق كل من يخرقها.

“ضحايا الرصاص العشوائي ليسوا كثيرين، عشرون فقط!”

أصدرت الإدارة الذاتية عام ٢٠١٤ قانون ترخيص السلاح وحددت الفئات العمرية التي يحق لها حمله وشروط اقتنائه ولعل أهم هذه الشروط أن يكون من سكان الجزيرة وسليم من الناحية الجسدية.

وأعاد الرئيس المشترك لهيئة الداخلية كنعان بركات في تصريح لـ شار سبب انتشار ظاهرة فوضى السلاح بين الأهالي إلى دخول كمية من السلاح بطرق غير مشروعة في بداية الأزمة/الثورة السورية وبيعها للأهالي مبيناً أنهم بعد إصدارهم قانون الترخيص لاحقوا الكثير من تجار الأسلحة ومقتني السلاح الغير المرخص من الأهالي.

ويرى بركات إن الحوادث التي وقعت نتيجة فوضى السلاح وإطلاق الرصاص العشوائي لم تصل إلى حد التفاف! مبيناً أن الإصابات التي سجلت هي عشرون حالة فقط منها عشر وفيات خلال العام!!.

وجه بركات نداء عبر شار إلى الأهالي والمجالس المحلية للتعاون مع قوات الأسايش لمعرفة مطلقي الرصاص موضحاً في الوقت ذاته أنهم لن يمنحوا ترخيص السلاح لأي شخص كان وتطبيق قانون ترخيص السلاح بشكل كامل.

وأكد بركات أنهم لن يتهاونوا في ملاحقة مطلقي الرصاص الغير المبرر وحاملي الأسلحة الغير المرخصة وسيتم ملاحقتهم وإحالتهم إلى المحاكم الخاصة درءاً لحدوث حالة فوضى في المدن وقرى الجزيرة على حد تعبيره.

إطلاق الأعيرة النارية في المناسبات الخاصة أو حتى العامة هي من العادات القديمة التي كان يقوم بها أبناء شيوخ العشائر، وهي في جوهرها تعبير عن السلطة أكثر من كونها تعبيراً عن الفرح، وهو ما يقوم به حالياً المقربون من الإدارة الذاتية أو موظفوها كتعبير عن نفوذ يمتلكونه على مستويات عدة.

أين نقف من العنف؟

هيئة تحرير شار



حقيقي لدور المنظمات في هذا الصدد.

إذا ما ذهبنا باتجاه تقديم مقترحات عامة بغية الحد من تأثير العنف على حياة الناس فسيكون للتوعية بطرائقها العصرية المتعددة والذكية الأثر الأبلغ، لأن لجم العنف هو قضية ثقافية معرفية قبل أن تكون سياسية، وتجذير ثقافة اللاعنف يأتي من تقبل خضوع الأفراد لبرامج اجتماعية جادة تكون غايتها ومؤداها نبذ العنف، وأن لا تحتكر جهات محددة فضاء نبذ العنف بما ينطوي على ذلك من تنميط للفكرة والأداة كما حدث مع أغلب منظمات المجتمع المدني السورية التي أسهمت بقصد أو بدونه في تغذية فكرة خاطئة في أن نبذ العنف ثقافة نخبوية، ولا يمكن أن ينخرط فيها أناس غير مشغولون بالشأن العام!!.

كل المؤسسات سواء كانت مدنية أم سياسية مطالبة بتأصيل ثقافة اللاعنف في كل مفاصلها وتعبيراتها، وينطبق هذا على الأفراد الذين ينبغي أن يجدوا أنفسهم ملزمين بتبني اللاعنف، وهذا الالتزام يجب أن ينبع من حراك ثقافي مدني يغوص في تفاصيل حركة المجتمع فليس هنالك من بشر في هذا البلاد لم يدخل العنف إلى حيواتهم، أو لم يمارسوه بصورة مباشرة أو غير مباشرة. ومن المفيد هنا الإطلاع على تجارب الشعوب والمجتمعات التي تخلصت كلياً أو جزئياً من إرث عنفي قاس ويستطيع دعاة اللاعنف أن يؤسسوا على تجارب غيرهم ويكيفوها مع واقعهم حين تحين الفرصة. من المهم أيضاً أن تقترن التوعية بمستوياتها وطرائقها المتعددة مع الاستفادة من موارد المجتمع البشرية التقليدية في حل النزاعات ووقف العنف كالوجهاء وقادة الرأي ومجالس المصالحات والسلم الأهلي التي تدخل أيضاً في إطار المجتمع المدني أو الأهلي.

تعود الأطفال والمراهقين على استعمال العنف ضدهم ضمن الأسر من قبل الأبوين أو ممن يكبرونهم سناً أو من الجيران إذ لم يتشرب المجتمع أية ثقافة تربوية لا عنفية تعمل عليها مؤسسات ونخب اجتماعية، وربما كانت هنالك رغبات فردية لدى البعض من المتنورين لترجيح كفة الخيارات اللاعنفية في المجتمع بما يخص الأطفال والنساء غير أن القوانين والأعراف وموانع السلطات أدت على الدوام للجم هكذا تطلعات فردية وحتى جماعية قد تقوم بها مؤسسة أو مبادرة مجتمعية.

هنالك حقيقة أن المدارس وحتى الجامعات في سوريا كانت وما تزال بيئة حاضنة للعنف، وأن أغلب الأجيال التي تلقت تعليماً تلقينياً مؤدجاً قد مورس عليها العنف الجسدي واللفظي على مدى سنوات وعقود، وقد يكون من الصعوبة بمكان نزع العنف من أذهان ملايين الطلاب الذين تلقوا تعليماً متخلفاً في مدارس مغلقة يلوح فيها المدرسون بعضهم، ولا تكفي الجهود التي تقدمها منظمات المجتمع المدني التي تشكلت حديثاً في مناطق عديدة من سوريا، فقد بقي تأثيرها محدوداً بالنظر لافتقار هذه المؤسسات الحديثة النشأة لتدريبات نوعية ولعدم قدرة الجهات السياسية على تقبل فكرة وجود أنماط جديدة في العمل تختلف في مراميها عن والأهداف السياسية التقليدية، وهذا ما أثر في انتفاء استدامة مشاريع اللاعنف وبناء السلام و حل النزاعات ضمن البيئات المحلية الصغيرة إضافة لعوامل وأسباب أخرى يطول شرحها وتقف حائلاً دون إنجاز تحول

ففي سوريا التي مازالت تدور في حلقة العنف العاري وغير المنضبط تتطلب دراسة العنف القائم شروطاً خاصة إذ تتنوع القوى العسكرية والسياسية المسيطرة على المشهد السوري، وتتفاوت القدرة بين منطقة وأخرى على إجراء مسح ودراسات فأغلب المناطق السورية خطرة على المشتغلين بالشأن العام، عدا عن عوامل أخرى تتعلق بمواطني تلك المناطق وطرائق تفكيرهم وتقسيماتهم الاجتماعية وأنماط معيشتهم، كما تختلف الأدوات التي يمكن توظيفها في كبح جماح العنف. بالانتقال من العام إلى الخاص نحتاج إلى دراسة العنف مع مراعاة الانتقال من مستواه السياسي العام إلى مستواه الاجتماعي المتعلق بالنزاعات بين الأفراد والعشائر والعوائل وهنا تظهر الحاجة لطرح أسئلة أخرى كأن نتساءل عن كيفية تنشئة أطفال لا يلجأون للعنف كخيار لتلبية احتياجاتهم أو تعبيراً عن عواطفهم. كيف يمكن للوجهاء وقادة الرأي أن يلعبوا أدواراً حقيقية في لجم العنف وتبني حلول لاعنفية على مستوى الحلقات الاجتماعية الصغيرة؟. كيف نجرد المدارس والمؤسسات التعليمية من مظاهر العنف؟.

اختلفت رؤى الفلاسفة وعلماء النفس حول العنف وجذوره، هل هو سلوك ملازم للإنسان؟ أم هو اكتساب محض من المحيط؟ هل ينشأ الإنسان عنيفاً؟ أم أن هنالك دوافع كامنة للإيذاء والعدوان لديه تتجسد أفعالاً في ظروف ومسارات محددة؟ ماهو مقياس أثر البيئة العنيفة على الأفراد؟ أليس هنالك أفراد مسالمون يتبنون اللاعنف حتى ولو كانوا ضمن بيئة الحرب والاقتتال؟ كل هذه الأسئلة تفتح الباب أمام المتقصي ليكون رؤى وقناعات خاصة ترسم بدورها ملامح لمقترحات حلول.

تقتضي الضرورة في هذا المجال أن يكون الباحث واقفاً على مسافة قريبة من تجارب عنفية ولا سيما الجماعية منها إذ لا يكفي أن يكون قارئاً نهماً لتجارب الشعوب والمجتمعات حتى يستطيع تقديم التوصيات والحلول فحل النزاعات أو التدخل لصالح ترجيح كفة الخيارات اللاعنفية تتطلب ملامسة وإحاطة عن قرب. فإذا ما كان حفظ الأرواح البشرية من القتل والإيذاء تقف في طليعة الغايات من دعوات السلام وحملات نبذ العنف فهذا لا يغني عن دراسات مستفيضة تحلل تفاصيل النزاعات الكبيرة والصغيرة، فيدون عمل جاد على تشريح بنية العنف في كل مجتمع يخوض حرباً أو اقتتالاً أو نزاعاً لن تستطيع الحركات والمنظمات وجماعات الضغط الداعية لإحلال السلام في كل أنحاء العالم أن تنجز تحولاً ملموساً ضمن مسار السلام العالمي ككل.

"مونتييسوري".. منهجٌ رائد في دعم التطوُّر الطبيعي للأطفال

ترجمة عن الانكليزية: نور محمد شيخو

يتعلَّمون بشكلٍ أفضل في بيئةٍ مُعدَّة، وهو مكانٌ يستطيعون من خلاله القيام بأشياء بأنفسهم.

التعلُّم الذاتي:

صنَّفت «مونتييسوري» المفهوم القائل بأن الأطفال قادرين على تثقيف أنفسهم بـ «التعلُّم التلقائي»، فالذين يشاركون بنشاطٍ في بيئةٍ مُعدَّة، والذين يمارسون حرية الاختيار؛ يُعلِّمون أنفسهم حرفياً، يقوم مدرسو منهج «مونتييسوري» بإعداد الصفوف الدراسية حتى يعلِّم الأطفال أنفسهم بأنفسهم.

دور المعلم:

تعتقد «مونتييسوري» أنه من الضروري أن يوجَّه المعلمون الأطفال دون أن يشعروا بوجودهم أكثر من اللازم، حتى يتمكنوا دائماً من تقديم المساعدة المطلوبة، بحيث لا يُشكِّلون عقبة على الإطلاق بين الأطفال وخبراتهم.

توضِّح «مونتييسوري» السلوكيات الرئيسة لتنفيذ هذا المنهج الذي يركِّز على الطفل:

- جعل الأطفال مركز التعلُّم: إذ تعتقد «مونتييسوري» أن مهمة المعلم هي إعداد وترتيب سلسلة من الدوافع للنشاط الثقافي في بيئة خاصة مصنوعة للطفل وليس الشرح.

- مراقبة الأطفال لإعداد أفضل بيئة مُعدَّة، والتعرُّف على الفترات الحساسة، وتحويل السلوك غير الملائم إلى مهام ذات مغزى.

- تشجيع الأطفال على التعلُّم، من خلال توفير الحرية لهم في بيئةٍ مُعدَّة.

- إعداد بيئة التعلُّم من خلال ضمان توفير المواد التعليمية بشكلٍ مُنظَّم، وتوفير المواد المُقدَّمة، الخبرات اللازمة لجميع الأطفال.

- تقديم المواد التعليمية: يقدِّم المعلم المواد التعليمية بعد مراقبة كل طفل.

«ماريا مونتييسوري» طبيبةٌ إيطالية ومعلِّمة مبتكرة، اعتمدت طريقةً لتعلِّم الأطفال بشكلٍ طبيعي، وتُعدُّ مؤسِّسة منهج «مونتييسوري» لتعليم الأطفال.

منهج مونتييسوري:

هو علم أصول التدريس العلمي كما هو مطبَّق على تعليم الأطفال (رياض الأطفال) مع إضافاتٍ وتنقيحاتٍ من قبل المؤلفة «ماريا مونتييسوري»، لطالما حُظيت طريقتها بشعبيةٍ كبيرة في جميع أنحاء العالم مع المختصين والوالدين في مرحلة الطفولة المبكرة، وقد صُمِّم هذا المنهج لدعم التطور الطبيعي للأطفال في بيئةٍ مهنيَّةٍ بشكلٍ جيد.

مبادئ منهج مونتييسوري:

تتمثل في خمسة مبادئ أساسية هي:

احترام الطفل:

احترام الأطفال هو حجر الزاوية الذي تركز عليه بقية المبادئ الأخرى، وكقاعدة عامة، فإننا لا نحترم الأطفال، بل نُجبرهم على اتباعنا دون مراعاةٍ لاحتياجاتهم، لذا يظهر المعلمون الاحترام للأطفال عندما يساعدونهم على فعل الأشياء ويتعلَّمون بأنفسهم بطريقةٍ يكونون فيها قادرين على تطوير المهارات والقدرات اللازمة لاستقبال التعلُّم الفعال، واحترام الذات الإيجابية.

العقل المتلقّي:

أرادت «مونتييسوري» إيصال فكرة أن الأطفال لا يستطيعون المساعدة في التعلُّم بمجرد العيش؛ بل يتعلَّمون من بيئتهم، فالطفل يمتص المعرفة مباشرةً في حياته النفسية، وما يتعلَّمونه يعتمد بشكلٍ كبير على معلمهم وخبراتهم وبيئاتهم.

الفترات الحساسة:

تعتقد «مونتييسوري» أن هناك فترات حساسة يكون فيها الأطفال أكثر عرضةً لبعض السلوكيات، ويمكنهم تعلُّم مهاراتٍ معينة بسهولةٍ أكثر، فمن أدوار المعلم: استخدام الملاحظة لاكتشاف أوقات الحساسية وتوفير الإعداد اللازم لتحقيق أفضل النتائج.

البيئة المُعدَّة:

كانت «مونتييسوري» رائدة في خلق البيئات للأطفال الصغار، مما مكَّهم من أن يكونوا مستقلين ونشيطين، فهي تعتقد أن الأطفال